الحجرات الشريفة

سيرةً وتاريخاً



كتبها

صفوان داوودي

ح وقف البركة الخيري بالمدينة المنورة، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

داوودي ، صفوان عدنان

الحجرات الشريفة سيرة وتاريخياً-ط٢-المدينة المنورة

١٠٨ ص ، ٢٤ سم

ردمك : ٤-١٥٧-٣٩-٩٩٦٠

١- زوجات النبي ٢- السيرة النبوية ٣-العنوان

ديوي ٢٣٩,٧ ١٠٨٦ / ٢٢

رقـم الإيـداع : ١٠٨٦ / ٢٢

ردمك : ٤-١٥٧-٣٩-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، وبعد

فقد طلب مني فضيلة الشيخ / **حسن محمد الكتبي** ، سليل النبوة، والوزير السابق للأوقاف والحج في المملكة العربية السعودية ، أن أكتب كتابا عن الحجرات الشريفة ، وماجرى فيها من الأمور بين النبي ﷺ وأزواجه ، وصحابته ، فأجبته لما طلب ، فإذا بي أجد أن طلبه هذا يمثل كتابة سيرة مختصرة للنبي ﷺ في خلال حياته الخاصة ، ويكشف عن نواح مهمة من جوانب تعامله ، ويبين أهمية هذه الحجرات ومكانتها ، إذ يكفيها فخرا أن الله تعالى أنزل في القرآن الكريم سورة تسمى سورة الحجرات ، وأن القرآن كان ينزل فيها ، وأنها محل جلوس رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات .

ولم نستقص جميع ماذكر فيها ، بل ذكرنا خلاصة ماحدث فيها ، وبينا حرمتها على المسلمين ، ثم ذكرنا تاريخ بنائها على مدى السنين والأيام ، وكتبنا هذا الكتاب على عجلة من أمرنا ، ونسأل الله تعالى القبول إنه أفضل مأمول وأكرم مسئول وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة

شهر رمضان المبارك ١٤١١هـ

مدخل

♥♥♥♥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

وبعد ؛

فإن عظماء الرجال يقاسون بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم المجيدة ، إذ هي عنوان الحضارة ، وعلامة الرقي ، ودرجة الرفعة ، وليس يقاس الرجال بأموالهم ومساكنهم ، فهذه أشياء فانية ذاهبة ، لاتغني ولاترفع عند الله ، وبما أن الإسلام دين الهداية للبشرية ، يحرص على رفعهم إلى المنازل المنيفة ، والرتب الشريفة ، فإنه لم يجعل المقاييس والمعايير التي يقاس عليها الناس مادية ، بل جعلها معنوية ، فهذا هو القرآن الكريم ينطق بالحق فيقول : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات : ١٣

فجعل التقوى علامة الكرامة ، وأما المادة في الإسلام فهي وسيلة للتقرب إلى الله تعالى وليست غاية مقصودة بذاتها ، لذا لم يعول الإسلام عليها في موازينه .

وإذا أردنا أن نذكر العظماء من الناس ، فنجد في مقدمتهم جميعا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ، هاديا للبشرية ، ومنقذا لها من ظلمات الجهالة ، والتخبط في سيرها وحياتها .

لم يكن النبي ﷺ ليركن إلى الدنيا وزخارفها ، وأنى له ذلك ، والله تعالى يقول له : ﴿ لاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ طه : ١٣١

فقد نهاه الله عن التطلع لما في أيدي الناس ، لأن النفس لما كانت ميالة إلى الدنايا ، مرهونة بالحاضر من فاني العطايا ، وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها ، المؤذن بعلو همتها ، قال مؤكدا إيذانا بصعوبة ذلك بالنون الثقيلة .(١)

لذا كان النبي ﷺ مثالا حيا للزهد في الدنيا ، والرغبة في العقبى .

يرضى بما حباه الله وأعطاه ، لايهتم بمأكله ، ومشربه ، وملبسه ، ومسكنه ، لأن هذا ليس هدفا له ، وإنما يأخذ منه ماتيسر دون مبالغة أو مفاخرة .

كانت عظمته ﷺ في أخلاقه ، حيث وصفه تعالى بقوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ القلم : ٤

وأنزل عليه القرآن العظيم ، الذي وصفه سبحانه بقوله : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ الحجر : ٨٧

وعلمه ذلك القرآن ، فكان ذلك منة من الله عليه عظيمة ، كما قال تعالى: ﴿ وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾النساء :١١٣

ثم جعل طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ علامة الفوز العظيم ، كما قال عز شأنه : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ الأحزاب : ٧١

وكانت عظمته أيضا في يقينه بما عند الله ، وفي رحمته لعباد الله ، وإشفاقه عليهم ، كما وصفه ربه بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ التوبة : ١٢٨

ومن عظمته ﷺ أن الدنيا أتته راغمة ، فأعرض عنها ، ولم يعبأ بها ، واكتفى بقول الله تعالى : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ طه : ١٣١

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسق الآيات والسور ١٢/٣٦٩

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

وراودته الجبال الشم من ذهب * عـن نفسـه فأراهـا أيمـا شمـم

وأكدت زهـده فيها ضرورته * إن الضروروة لاتعدو على العصم

ومن عظمته ﷺ أنه كان معلما للناس بأخلاقه ، وأفعاله ، وأقواله ، من غير تعنيف ، ولا تنفير ، يرحم الصغير ، ويوقر الكبير .

ومن عظمته ﷺ أنه كان لين العشرة في بيته ، فكان خير الناس لأهله، وهو في هذا يقول : "خيركم خيركم للنساء" (١)

ومن عظمته ﷺ تواضعه العظيم عند النصر العظيم ، لما دخل مكة فاتحا ، وتحكم في أهلها الذين آذوه ، وأخرجوه من دياره ، وقتلوا أصحابه، فقد دخلها مطأطئا رأسه حتى كاد يمس راحلته .

ومن عظمته ﷺ عفوه عمن ظلمه ، كما فعل بأهل مكة وغيرهم .

وجوانب عظمته ﷺ كثيرة ، وكلما ارتقى الإنسان في أخلاقه ومعاملته ودراسته أدرك نواحي من ذلك أكثر من غيره ، فالكامل أعلم بالكامل .

وفي هذا الكتيب الصغير نعرض جوانب مهمة من عظمة الرسول ﷺ من خلال واقعه الحياتي في بيته وحجرات أزواجه المطهرة ، ومعاملته مع القاصدين إليه في بيته ، والداخلين إليه ، والزائرين لديه ، إذ تكمن العظمة في البساطة في المعاملة ، وطرح التكلف مع الهيبة والوقار .

ونبدأ أولا بذكر بناء الحجرات ووصفها .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٣/٤ ، وصححه ، وأقره الذهبي .

بناء الحجرات ونعتها

***

لما وصل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، استقبله أهلها فرحين مسرورين بمقدمه الميمون ، وتنافسوا في استضافته ﷺ ، وبدا كل شيء في المدينة فرحا مستبشرا بهذه الهجرة المباركة ، كيف لا يفرحون وقد شرفهم الله تعالى بأفضل خلقه ، وأكرم رسله وخصهم بهذه المزية العظيمة .

نعم ، فرح الناس ، وطاب الهواء ، وأضاء كل شيء .

وفي هذا يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : مارأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ .(١)

ويقول رضي الله عنه أيضا : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء ومافرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .(٢)

ونزل النبي ﷺ في بني عمرو بن عوف بقباء ، وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق لشهر ربيع الأول ، فخرج الناس حين قدم المدينة في السكك والطرق ، وعلى البيوت والمنازل ، وخرج الغلمان والخدم وهم يقولون : جاء محمد رسول الله ، الله أكبر ، جاء محمد رسول الله .

ويروي لنا أنس بن مالك استقبال الأنصار للنبي ﷺ فيقول :

فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدف وهن يقلن :

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٤٠ ، والدارمي ١/ ٤١ بسند صحيح .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢١ ، والترمذي في الشمائل برقم ٣٧٤ ، وابن ماجه برقم ١٦٣١ في الجنائز .

نحن جوار من بني النجار * ياحبذا محمد من جار [١]

وقامت الحبشة تلعب بالحراب فرحا بقدومه ﷺ ، كما صعدت ذوات الخدور على الأجاجير [٢] وهن ينشدن :

طلع البدر علينـــا * من ثنيـات الوداع

وجب الشكر علينا * مادعــا للــــه داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع [٣]

ثم لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي على التقوى من أول يوم ، وصلى فيه ﷺ ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي مع الناس ، كلهم يتنافسون في أخذ خطام الناقة ، والرسول ﷺ يقول لهم : دعوها ، فإنها مأمورة ، حتى بركت الناقة عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان محل المسجد مربدا للتمر لسهيل وسهل ، وهما غلامان يتيمان في حجر وكفالة سعد بن زرارة رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل .

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمربد ، يريد أن يشتريه منهما ليتخذه مسجدا ، فأبى الغلامان أن يبيعاه ، وقالا : لا ، بل نهبه لك يارسول الله .

فأبى الرسول ﷺ- وهو الرءوف الرحيم -أن يقبله من يتيمين فقيرين، بل أصر على شرائه منهما حتى ابتاعه ، ثم أمر به أن يبنى مسجدا .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك

(٢) الأجاجير جمع إجار وهو سطح المنزل .

(٣) أخرجه أبو سعيد في شرف المصطفى ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٦٢/٧ : وهو سند معضل ، ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك ، وذكره السمهودي في الوفاء ٢٦٢/١ .

وتسابق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في تنفيذ أمر رسول الله ﷺ ، يريدون أن يجعلوه مسجدا حسن الصورة والبناء ، قوي الجدر والأساس ، لكن رسول الله ﷺ بادرهم وقال : ابنوا لي عريشا كعريش موسى ، ثمامات وخشبات ، وظلة كظلة موسى ، والأمر أعجل من ذلك .

فقالوا له : وماظلة موسى ؟

فقال ﷺ : كان إذا قام فيه أصاب رأس السقف .

لم يقبل ﷺ التطاول في البنيان ، ولا المباهاة به ، لأنه كان حريصا على المضمون أكثر من الصورة ، ولا يريد أن يفرغ طاقة أصحابه في أمور قليلة الفائدة ، عديمة الجدوى .

وبادر الصحابة الكرام بالتشمير عن ساعد الجد ، والعمل بنشاط وهمة في بناء هذا المسجد العظيم ، ليكون منارة خير وهدى تضيء على البشرية كلها إلى قيام الساعة ، ومشعل حضارة وتيقظ يبعث البشرية من جديد من سباتها العميق .

وطفق الرسول ﷺ ينقل مع أصحابه الكرام اللبن في ثيابه ترغيبا لهم، وعونا في عملهم ، وهو يعطيهم الدرس العملي في التعاون والمساواة، وهذا هو التوجيه العالي ، والتربية الحقيقية للناس ، إذ التربية الصحيحة التي تؤثر في الناس هي التي تكون بالأفعال لا بالأقوال ، وقديما قالوا : من وعظ بكلامه زلت سهامه ، ومن وعظ بفعله أصابت سهامه .

ويشارك الرسول ﷺ في هذا البناء العظيم ، وهو ينشد ويقول :

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وتارة أخرى يقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة * فارحم الأنصار والمهاجرة

وإنشاد الشعر في العمل يساعد على بعث الهمة وزيادة النشاط ، واستغراق الإنسان في عمله حتى لايشعر بثقله ، ولا بطول زمانه .

ولما رأى الصحابة النبي ﷺ منهمكا في عمله ، وهو ينشد ، زاد حرصهم على العمل ، وتفجرت طاقتهم ، وكثر نشاطهم وتنافسهم ، حتى قال قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك إذا للعمل المضلل

وعلي بن أبي طالب يعمل معهم فرحا مسرورا وهو يقول :

لايستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وفي أثناء عملهم قدم رجل من اليمامة يسمى طلق بن علي من بني حنيفة ، فوجد النبي ﷺ يبني مسجده ، والمسلمون فيه معه ، وكان طلق صاحب علاج وخلط طين ، فقال عن نفسه رضي الله عنه : فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبي ﷺ ينظر إلي ويقول : إن هذا الحنفي لصاحب طين .

فأعجب النبي ﷺ به لأنه صاحب خبرة في هذا المجال ، وجاء في الوقت المناسب . وقال لأصحابه : قربوا اليمامي من الطين ، فإنه أحسنكم له مسكا ، وأشدكم منكبا

وهكذا توالى العمل بجد وهمة ، حتى اكتمل هذا البناء العظيم ، البسيط الصورة ، الكبير الفائدة والمضمون .

وكانت مساحة المسجد النبوي سبعين ذراعا في ستين ذراعا .

وجعلت سواريه من الخشب ، وجعل في وسطه رحبة .

ولما تم بناء المسجد النبوي الشريف قام النبي ﷺ ببناء بيتين لزوجتيه، فكان للنبي ﷺ وقتئذ زوجتان ، وهما السيدة عائشة والسيدة سودة بنت زمعة ، وكانت السيدة سودة بنت زمعة القرشية أول من تزوج بها النبي ﷺ

بعد خديجة ، وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر ، حتى دخل بعائشة.[1]

وذكر الواقدي عن ابن أخي الزهري عن أبيه قال :

تزوج رسول الله ﷺ بسودة في رمضان سنة عشر من النبوة ، وهاجر بها ، وماتت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين .[2]

وأما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد تزوجها النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا .[3] وهاجر بها أبواها ، ثم دخل بها رسول الله ﷺ في شوال سنة اثنتين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر ، وهي ابنة تسع .

فبنى لهما بيتين على غرار بناء المسجد ، وعلى نعته من لبن وجريد النخل ، مستورين بمسوح الشعر ، وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج ، وهما نوعان من الخشب ، ثم صار له بابان ، فإنهم لما صلوا على رسول الله ﷺ دخلوا من باب أرسالا أرسالا ، فصلوا عليه ، وخرجوا من الباب الآخر .[4]

والبيت في عرفهم يطلق على الغرفة في عرفنا ، فلم يكن البيت النبوي يتكون من الغرف الواسعة ومنافعها ، بل مما تقدم وصفه .

وأما فرش بيت النبي ﷺ فكان شيئا عجيبا ، بعيدا عن زهرة الدنيا وزخرفها ، بعيدا عن فرش الملوك والسلاطين ، لأنه ﷺ لم يكن صاحب ملك ، بل كان عبدا لله يحمل رسالة هداية ونور للعالمين ، يضرب لهم المثل

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٥

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٦٧

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥

(٤) وفاء الوفا ٢/ ٥٤٢

الأعلى في الزهد والتقلل من الدنيا ، ليكون ﷺ قدوة حسنة لأصحابه وأمته ، يقتدون به ، ويهتدون بهداه .

فقد كان فرشه ﷺ سريرا من جريد النخل فيه سعفه ، وكان ﷺ يضطجع عليه ، وإذا اعتكف في مسجده جلس عليه كذلك .

وتقول السيدة عائشة في ذكر السرير كما أخرجه أحمد في مسنده ٤٢/٦ عنها : ربما رأيت رسول الله ﷺ يصلي بالليل ، وأنا على السرير بينه وبين القبلة ، فتكون لي الحاجة ، فأنسل من قبل رجل السرير كراهية أن أستقبله بوجهي .

وكان من جملة فرش البيت أيضا حصيرة ، تقص علينا السيدة عائشة قصتها فتقول : كانت لنا حصيرة نبسطها بالنهار ، ونتحجرها بالليل .[1]

يضاف إلى ذلك ستارة صغيرة وضعتها السيدة عائشة في بيتها ، ثم أمرها النبي ﷺ بنزعها ؛ لأن فيها صورا ، فقد أخرج أحمد في المسند ٤٩/٦ عن عائشة قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، فكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لي رسول الله ﷺ : ياعائشة ، حولي هذا ؛ فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا . وكانت له قطيفة ، كنا نقول : كلها من حرير ، فكنا نلبسها .

فلم يكن رسول الله ﷺ يرضى أن يكون في بيته أية تصاوير ؛ لأن هذا يمنع دخول الملائكة إلى البيت ، فكان إذا رأى شيئا من ذلك نزعه وأمر بإزالته ، وفي ذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : لم يكن رسول الله ﷺ يدع في بيته ثوبا فيه تصليب إلا نقضه .[2]

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٠/٦

(٢) أخرجه أحمد ٥٢/٦

وتقول أيضا رضي الله عنها :

دخل النبي ﷺ وأنا مستترة بقرام فيه صورة فهتكه ، ثم قال : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله . [1]

ويضاف إلى فرش بيت النبي ﷺ بساط يضطجع عليه ، تصفه السيدة عائشة فتقول : كان ضجاع رسول الله ﷺ من أدم حشوه من ليف .

وكان خلف حجرة عائشة كنيف يقضي به النبي ﷺ حاجته . وقد قالت السيدة عائشة : يارسول الله، ندخل كنيفك فلا نرى شيئا من الأذى! فقال : الأرض تبتلع مايخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شيء . [2]

هذا هو حال بيت أكرم خلق الله ، وهذه معيشته فيه ، فأين نحن منه؟

ثم كان النبي ﷺ كلما أحدث زوجة بنى لها حجرة ، وأسكنها فيها ، حتى صار له تسع زوجات ، وتسع حجرات . تمتد هذه الحجرات مابين بيت السيدة عائشة رضي الله عنها وإلى جهة اليسار ، وكانت أبوابها شارعة في المسجد .

ويصف لنا عمران بن أبي أنس رضي الله عنه الحجرات الشريفة فيقول [3] :

كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لاحجر لها ، على أبوابها مسوح الشعر ، وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨٦/٦

(٢) وفاء الوفا ٤٦٦/٢

(٣) تاريخ المدينة لابن النجار ص٣٥٨

وجاءت رواية أخرى تصف مساحة هذه الحجرات الشريفة ، وهي ماأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن داود بن قيس قال :

رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر ، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوا من ستة أو سبعة أذرع ، وأحزر البيت الداخل عشرة أذرع ، وأظن سمكه بين الثمان والسبع.(١)

ويصفها لنا الحسن البصري رضي الله عنه - وهو الذي ربي في حجر أم سلمة زوج النبي ﷺ - فيقول :

كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق ، وأنال السقف بيدي ، وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجره من أكسية من خشب عرعر .

وأما باب هذه الحجرات فقد كان يقرع بالأظفار ، إذ لم يكن له حلق .

فهذه هي أوصاف بيوت أزواج النبي ﷺ مع عظيم رفعتهن ومكانتهن، ونجد أن اقل إنسان في زماننا يملك بيتا يعد قصرا من القصور الشاهقة إذا ماقيس بحجر أزواج رسول الله ﷺ ، وليته يرضى بذلك ، بل نجد بعض الناس يتأفف منه ويتضجر ، ويكثر الشكوى من ضيقه وصغره ، فأين نحن من بيوت أشرف الخلق ؟ ولو كان شرف المؤمن في مسكنه ومنزله لاتخذ النبي ﷺ أعظم البيوت وأفخمها .

ولو كان شرف الإنسان في طعامه وشرابه لأكل النبي ﷺ أطيب الطيبات ، ولشرب أطيب الشراب .

---

(١) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٥٥٤/٧

ولو كان شرف الإنسان في ملبسه للبس النبي ﷺ أفخر الثياب ، ولكن هيهات ، هيهات . كل ذلك عرض زائل ، ومتاع فان ، فليس المسكن يرفع الإنسان ، ولا الطعام ولا الشراب ، ولكن يرفعه عمله الصالح ، وسيرته الحسنة .

ولكن لاتقول : إن الأخذ بهذا من المحرمات . لا ، بل هو من المباحات ، والمعوّل في ذلك على النية ، فمن كان قصده المباهاة والمفاخرة خاب وخسر ، ومن كان قصده غير ذلك سعد وربح ، والله تعالى يقول : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ فهذه هي القاعدة الشرعية ، وعليها المدار والمعوّل فقد ورد أنه لما غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل قامت أم سلمة رضي الله عنها بتحسين بيتها وبنائه بلبن ، فلما قدم النبي ﷺ نظر إلى اللبن ، ودخل عليها أول نسائه ، فقال : ماهذا البناء ؟ قالت : أردت يارسول الله أن أكف أبصار الناس .

فقال ﷺ : ياأم سلمة ، إن من شر ماذهب فيه مال المسلم البنيان.[1]

فلم يرض ﷺ لأزواجه الميل إلى الدنيا ، والإكثار منها ، بل رضي لهن ماعند الله من الأجر العظيم ، والفضل العميم .

وفي هذا المعنى نزل القرآن ، فقد أخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن جابر قال : أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس ، والنبي ﷺ جالس ، فلم يؤذن له .

ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فدخلا والنبي ﷺ جالس ، وحوله نساؤه ، وهو ساكت .

فقال عمر رضي الله عنه : لأكلمن رسول الله ﷺ لعله يضحك ، فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله ، لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني

---

(١) وفاء الوفا ٢/٤٦١

النفقة آنفا ، فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدا ناجذه ، وقال: هن حولي يسألنني النفقة .

فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة . كلاهما يقولان : تسألان النبي ﷺ ماليس عنده ؟ فنهاهما رسول الله ﷺ عن هذا . فقلن نساؤه :

والله لانسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ماليس عنده .

وأنزل الله الخيار ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال :

إني ذاكر لك أمرا ، ماأحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك .

قالت : ماهو ؟

فتلا عليها : ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾

فقالت عائشة رضي الله عنها : أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر إلى امرأة من نسائك مااخترت .

فقال : إن الله لم يبعثني متعنتا ، وإنما بعثني معلما مبشرا ، لاتسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها .

وفي رواية ابن سعد :

قال عمر رضي الله عنه : فدخلت عليه ، وهو واضع يده على خده ، أعرف به الكآبة ، فقلت له : أي نبي الله - بأبي أنت وأمي يارسول الله - مالذي رابك ، ومالذي لقي الناس بعدكم من فقدهم لرؤيتك ؟

فقال : ياعمر ، سألتني الإماء ماليس عندي . يعني : نساءه ، فذاك الذي بلغ بي ماترى .

فقلت : يانبي الله ، قد صككت جميلة بنت ثابت صكة ، ألصقت خدها منها بالأرض ؛ لأنها سألتني ماليس عندي . وأنت يارسول الله على

موعد من ربك ، وهو جاعل بعد العسر يسرا .

قال : فلم أزل أكلمه حتى رأيت رسول الله ﷺ قد تحلل عنه بعض ذلك ، فخرجت ، فلقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فحدثته بالحديث، فدخل أبو بكر على عائشة رضي الله عنها ، فقال :

قد علمت أن رسول الله ﷺ لايدخر عنكن شيئا ، فلا تسأليه مالايجد، انظري حاجتك فاطلبيها إلي .

وانطلق عمر رضي الله عنه إلى حفصة ، فذكر لها مثل ذلك ، ثم اتبعا أمهات المؤمنين ، فجعلا يذكران لهن ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن ......﴾ الآيات .

هذا تعليم من الله للنساء عامة ، ولنساء النبي ﷺ خاصة ، فنهاهن عن تكليف النبي ﷺ ماليس عنده ، من أجل أن ذلك يشق عليه ويحزنه .

فهذه هي العظمة في بيوت النبي ﷺ ومعيشته ، تكمن في البساطة والسهولة ، والبعد عن التكلف والمشقة .

وقال عطاء الخراساني : أدركت حجرات أزواج النبي ﷺ من جريد ، على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ ، يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ ، فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم .

قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله ، لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشىء من المدينة ، ويقدم قادم من الآفاق ، فيرى ماااكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ، ويكون ذلك مما يزهد الناس في

التكاثر والتفاخر بها .[1]

وقال عمران بن أبي أنس لما سمع كلام عطاء : فلقد رأيتني في المسجد ، وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي ﷺ أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو أمامة بن سهل ، وخارجة بن زيد ، وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع .

وقال يومئذ أبو أمامة : ليتها تركت حتى ينقص الناس من البنيان ، ويروا ما رضي الله لنبيه ﷺ ، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده .

❤❤❤

(١) وفاء الوفا ٢/٤٦١

موقع الحجرات

***

تقدم معنا أن النبي ﷺ لما أتم بناء مسجده الشريف قام ببناء بيتين لزوجتيه سودة وعائشة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل .

وأما جهة بنائهما فيرويها لنا ابن النجار في تاريخه [1] فيقول :

قال أهل السير : ضرب النبي ﷺ الحجرات مابينه وبين القبلة والشرق إلى الشامي ، ولم يضربها في غربيه ، وكانت خارجة من المسجد ، مديرة به إلا من المغرب ، وكانت أبوابها شارعة في المسجد .

وقال ابن النجار أيضا : ولما تزوج رسول الله ﷺ نساءه بنى لهن حجرا ، وهي تسعة أبيات ، وهي مابين عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ .

قال السمهودي [2] : ومراده بالباب الذي يلي باب النبي ﷺ الباب الذي في الجهة المقابلة من المغرب ، وهو المعروف الآن بباب الرحمة .

ثم قال : ويرجح ماقررناه مارواه أبو سعد في شرف المصطفى بسنده إلى محمد بن عمر قال :

سألت مالك بن أبي الرجال : أين كانت منازل أزواج النبي ﷺ ؟ فأخبرني عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام في وجه المنبر . هذا أبعدها ، ولما توفيت زينب أدخل -أي : النبي ﷺ أم سلمة بيتها .ا.هـ

---

(١) تاريخ المدينة لابن النجار ص ٣٥٨

(٢) في الوفا ٢/٤٥٩

قلت : والمراد بزينب هاهنا زينب بنت خزيمة الهلالية ، أم المؤمنين ، التي كانت تلقب بأم المساكين ، لكثرة معروفها . كانت متزوجة من عبد الله ابن جحش ، فقتل يوم أحد ، فتزوجها النبي ﷺ ، ومكثت عنده شهرين ، ثم توفيت رضي الله عنها . ثم تزوج النبي ﷺ أم سلمة سنة أربع من الهجرة ، وأدخلها بيت زينب ، وفي شهر ربيع الأول [١] من هذه السنة غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فوجد أم سلمة قد بنت حجرتها بلبن ، فقال : ماهذا البناء ؟ فقالت : أردت يارسول الله أن أكف أبصار الناس .

فكانت الحجرات مديرة بالمسجد من جهة الغرب ، وأبوابها شارعة في المسجد ، إذا مد الإنسان يده إلى المسجد دخلت إلى الحجرات الشريفة ، ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه [٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كان النبي ﷺ يصغي إلي رأسه وهو مجاور في المسجد ، فأرجله ، وأنا حائض .

قال ابن حجر العسقلاني[٣]: وحجرة عائشة كانت ملاصقة للمسجد .

وما أخرجه البخاري [٤] أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت :

وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل رأسه وهو في المسجد فأرجله ، وكان لايدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا .

---

(١) الروض الأنف ٢٥٨/٣

(٢) في كتاب الاعتكاف ، باب الحائض ترجل رأس المعتكف . فتح الباري ٢٧٢/٤

(٣) فتح ألباري ٤٠١/١

(٤) في الاعتكاف . فتح الباري ٢٧٣/٤

ويوضح تلاصق باب حجرة عائشة رضي الله عنها بالمسجد النبوي الشريف ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده [1] عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يأتيني وهو معتكف في المسجد ، حتى يتكىء على باب حجرتي ، فأغسل رأسه وأنا في حجرتي ، وسائر جسده في المسجد .

وما أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما [2] أن عائشة رضي الله عنها قالت :

والله ، لقد رأيت النبي ﷺ يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بحراب في المسجد ، يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي ، حتى أكون أنا التي أمل ، فاقدروا بقدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو .

ويوضح تلاصق حجرة عائشة بالمسجد النبوي الشريف هذا الخبر اللطيف الذي أخرجه النسائي والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ جالسا ، فسمعنا لغطا وصوت الصبيان ، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية تزفن [3] ، والصبيان حولها فقال :

ياعائشة ، تعالي فانظري .

فجئت فوضعت ذقني على منكب رسول الله ﷺ ، فجعلت أنظر إليها مابين المنكبِ إلى رأسه ، فقال لي : أما شبعت ؟

---

(١) المسند ٨٦/٦

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة - باب أصحاب الحراب في المسجد ٥٤٩/١ ، والنسائي في عشرة النساء ص ٩٩

(٣) أي : ترقص .

فجعلت أقول : لا ؛ لأنظر منزلتي عنده ، إذ طلع عمر فارفض [١] الناس عنها ، فقال رسول الله ﷺ:

إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر [٢].

فكان في بيت عائشة خوخة تنظر منها إلى المسجد .

والحجرات متلاصقة قريبة ، وكان بين بيت حفصة وبين منزل عائشة طريق . وكانتا يتهاديان الكلام وهما في منزليهما من قرب مابينهما . [٣]

وكان بيت السيدة فاطمة في موضع الزور مخرج النبي ﷺ ، وكانت فيه كوة إلى بيت عائشة ، فكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة ، فعلم خبرهم ثم سألت السيدة فاطمة النبي ﷺ أن يسد الكوة ، فسدها[٤].



(١) ارفض الناس : تفرقوا .

(٢) أخرجه النسائي في عشرة النساء ص ١٠١ ، والترمذي في المناقب برقم ٣٦٩١

(٣) وفاء الوفا ٥٤٣/٢

(٤) وفاء الوفا ٤٦٦/٤

ذكر الحجرات
في القرآن الكريم

***

ورد ذكر الحجرات الشريفة في القرآن الكريم بأكثر من آية ، وهذا يدل على رفعة مكانتها ، وعظيم شأنها ، وعلو منزلتها .

وإذا تأملنا الآيات التي جاءت بذكرهن نجدها قد جاءت تنسب هذه الحجرات الشريفة إلى جهتين :

الجهة الأولى : تنسب البيوت لأزواج النبي ﷺ ، حيث تقول الآية الكريمة ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ الأحزاب : ٣٣

وتقول الآية الأخرى ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ الأحزاب : ٣٤

فهاتان الآيتان الكريمتان نسبتا البيوت لأمهات المؤمنين رضوان الله عنهن أجمعين .

الجهة الثانية : تنسب البيوت إلى النبي ﷺ نفسه ، حيث تقول الآية الكريمة : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ الأحزاب : ٥٣

فما هي الحكمة في ذلك ؟

وقد أجيب على هذا التساؤل بعدة أجوبة :

منها ماذكره السمهودي [1] حيث قال : والظاهر أن الإضافة إليه ﷺ هي الحقيقية ، لما تقدم من أن النبي ﷺ بناها ، ولأنه كان يجب عليه إسكانهن ، غير أن لهن بعده حق السكنى لحبسهن لحقه ﷺ .

ومنها ماذكره الزين ابن المنير حيث قال : والغرض أن يبين أن بهذه النسبة إليهن تحقيق دوام استحقاقهن البيوت مابقين ، لأن نفقتهن وسكناهن من خصائص النبي ﷺ ، والسر فيه حبسهن عليه .

ومنها أنه ﷺ كان قد ملك بعضهن بيتها ، أو ملكهن كلهن ، كما ذهب إليه بعضهم .

فقد قال الطبري : قيل : كان النبي ﷺ ملك كلا من أزواجه البيت التي هي فيه ، فسكن بعده فيهن بذلك التمليك .

وقيل : إنما لم ينازعن في مساكنهن ، لأن ذلك من جملة مؤونتهن التي كان النبي ﷺ استثناه لهن مما كان بيده أيام حياته حيث قال : ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عملي فهو صدقة .

قال الطبري : وهذا أرجح .

ومنها ماذكره الآلوسي في تفسيره [2] حيث قال : ويجوز أن تكون إضافة البيوت إلى ضمير النساء المطهرات باعتبار أنهن ساكنات فيها ، قائمات بمصالحها قيمات عليها ، واستعمال الخاصة والعامة شائع بإضافة البيوت إلي الأزواج بهذا الاعتبار .

---

(١) وفاء الوفا ٢/٤٦٤

(٢) روح المعاني ٧/٢٢

ومما يستأنس به لكون الإضافة إلى ضميرهن بهذا الاعتبار ، لا لكون البيوت ملكهن إضافة البيت إلى النبي ﷺ في غير ما أثر ، بل سيأتي إن شاء الله تعالى إضافة البيوت إليه عليه الصلاة والسلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ وهي أحق بأن تكون للملك .

وذكر القرطبي في تفسيره مانصه : قوله تعالى : ﴿ بيوت النبي ﴾ دليل على أن البيت للرجل ، ويحكم له به ، فإن الله تعالى أضافه إليه .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾

قلنا : إضافة البيوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم إضافة ملك ، وإضافة البيوت إلى الأزواج إضافة محل ، بدليل أنه جعل فيها الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم والإذن إنما يكون للمالك .

❤❤❤

مانزل من القرآن في الحجرات

***

إن لبيوت النبي ﷺ حرمة زائدة عما سواها من البيوت ، فشأنها أعظم ، وأمرها أفخم ، لأن الله تعالى يريد لنبيه تمام النعمة ، وعظيم المنة، ولا يرضى عن أحد يؤذي النبي ﷺ بأقواله أو أفعاله ، ويرشد عباده إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون مع رسول الله ﷺ في بيته ومنزله ، إذ كان بيت النبي ﷺ مفتوحا لكل من أراد الدخول عليه ، فكان يدخل عليه البر والفاجر ، والناس متفاوتون ، فمنهم الخفيف الظل ، الذي يراعي الناس في تصرفاته وحركاته ، ولايؤذي أحدا بفعل أو كلمة ، ومنهم الثقيل الجافي ، ومنهم مابين ذلك .

وقد جرت للنبي ﷺ قصة مع بعض الناس الذين أثقلوا عليه ، يرويها لنا أنس بن مالك خادم النبي ﷺ فيقول : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها دعا القوم ، فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا ، فانطلقت فجئت ، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل ، فألقى الحجاب بيني وبينه [1]، فأنزل الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده

---

(١) الحديث أخرجه البخاري

أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما * إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما ﴾

فجاء في هذه الآيات الكريمة تبيين لبعض الحقوق على الناس المتعلقة به ﷺ وهو عند نسائه ، والحقوق المتعلقة بهن رضي الله عنهن .

فمن الحقوق له ﷺ على الناس وهو عند نسائه :

١- عدم دخول بيته ﷺ إلا إن أذن بذلك ، أو دعاهم إلى طعام حاضر .

٢- عليهم إذا أكلوا في بيته ﷺ أن يذهبوا بعد انتهائهم .

٣- عدم التحدث في بيته ﷺ بعد انتهاء حاجتهم .

ومن الحقوق المتعلقة بأزواجه ﷺ :

١- أن يسألن من وراء حجاب وستر .

٢- حرمة نكاح أزواجه ﷺ بعده .

وجرى للنبي ﷺ مع بعض أصحابه قصة أخرى ، اقتضت نزول القرآن الكريم ، لتعليم الناس آداب الكلام مع رسول الله ﷺ ومخاطباته وهو في بيته ، يرويها لنا زيد بن أرقم فيقول :

اجتمع ناس من العرب ، فقالوا : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به ، وإن يك ملكا نعش بجناحه .

فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بما قالوا ، فجاءوا إلى حجرته ، فجعلوا ينادونه : يامحمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ، والله غفور رحيم ﴾

فأخذ رسول الله ﷺ أذني فمدها ، فجعل يقول : قد صدق الله قولك يازيد ، قد صدق الله قولك يازيد .[1]

وقد تكررت هذه الحادثة للنبي ﷺ مع الأقرع بن حابس التميمي ، حيث إنه أتي النبي ﷺ فقال : يامحمد ، اخرج إلينا ، فلم يجبه .

فقال : يامحمد ، إن حمدي زين ، وإن ذمي شين .

فقال ﷺ : ذاك الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [2]

وقد سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ فقال : هم الجفاة من بني تميم . لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم .[3]

ففي هذه الآيات تأديب من الله تعالى للناس ، وتقبيح سوء الأدب مع الرسول ﷺ فالرسول ﷺ له حرمة ، والبيوت لها حرمة ، وقد نهاهم الله تعالى عن ندائه ﷺ وتسميته كنداء بعضهم بعضا بأسمائهم ، ورفع الصوت به ، والنداء من وراء الحجرات ولكن عليهم أن ينادوه بلقبه ،مثل : يانبي الله ، ويارسول الله ، مع التوقير والتواضع ، وخفض الصوت .

وقد أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : كانوا يقولون : يامحمد ، ياأبا القاسم ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك بقوله سبحانه :

﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ النور : ٦٣

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير ١٢١/٢٦ بسند حسن .

(٢) الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح .

(٣) روح المعاني ٢٢٥/١٨

وقد قال السيوطي رحمه الله : إن في هذا النهي تحريم ندائه ﷺ باسمه .

ويحرم رفع الصوت فوق صوته ﷺ ، وبذا نزل القرآن ، فعن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبوبكر وعمر ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ، وأشار الآخر برجل آخر ، فقال أبوبكر لعمر : ماأردت إلا خلافي .

قال : ماأردت خلافك .

فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ (١)

فلما نزلت الآيات قال أبوبكر رضي الله عنه : يارسول الله ، والله لاأكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله .

وكان عمر رضي الله عنه إذا تكلم عند النبي ﷺ لم يسمع كلامه حتى يستفهمه . أدب رفيع ، وامتثال سريع ، من أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين .

كما نزلت آيات في القرآن الكريم تحث أزواج النبي ﷺ خاصة ، والنساء عامة بملازمة بيوتهن وحجراتهن ، وعدم الخروج منهن ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

---

(١) الحديث أخرجه البخاري .

أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ الأحزاب : ٣٣

وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن سيرين قال نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي ﷺ : مالك لاتحجين ولاتعتمرين كما يفعل أخواتك ؟

فقالت : قد حججت واعتمرت ، وأمرني الله أن أقر في بيتي ، فوالله لاأخرج من بيتي حتى أموت .

قال : فوالله ، ماأخرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها [١]

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع : هذه ، ثم ظهور الحصر .

قال : فكان كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش ، وسودة بنت زمعة ، وكانتا تقولان :

والله ، لاتحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ .[٢]

وقد كانت الحجرات الشريفة منزل الوحي في كثير من الأحيان ، لذا أمر الله تعالى أزواج النبي ﷺ بأن يخبرن بماأنزل الله من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيهن ، حتى يبلغ ذلك إلى الناس ، فيعملوا بما فيه ، ويقتدوا به ، فقال تعالى : ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ الأحزاب : ٣٤

وتخبرنا السيدة عائشة ببعض مانزل في بيتها من القرآن فتقول : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ماتقول فأنزل الله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع

---

(١) الدر المنثور ٥٩٩/٦

(٢) المسند ٢١٨/٥ ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٢٣٧/٦ عن أم سلمة .

تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾[1]

وتقول السيدة عائشة أيضا :

أوحى الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأنا معه ، فقمت فأجفت الباب بيني وبينه ، فلما رفه عنه قال : ياعائشة ، إن جبريل يقرئك السلام [2]

ويقول النبي ﷺ : لاتؤذيني في عائشة ، فإنه لم ينزل عليَّ الوحي ، وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة [3]

فمن بركات الحجرات كونها محل نزول الوحي .

♥♥♥

(١) الحديث أخرجه أحمد ٦/٤٦

(٢) أخرجه النسائي ٧/٦٩

(٣) أخرجه أحمد ٦/٢٩٣

سيرته ﷺ في حجرات أزواجه

***

إن حياة المرء في بيته ، وحسن معاملته مع أهله هي المقياس الذي يقاس به ، فكثير من الناس يظهر حسن المعاملة مع إخوانه وأصحابه ، والتلطف في كلامه وفعاله معهم ، بينما يكون في بيته كالسبع المفترس ، والملك المتسلط ، يأبى أن يراجع أو يرد له أمر ، أو يعترض عليه في شيء، ظنا منه أن هذه هي الرجولة ، فتراه يقحم نفسه في كل أمر من أمور البيت ، ولايترك لغيره مجالا للتصرف والتدبير ، وهذا خطأ يرتكبه كثير من الناس .

فمن جوانب عظمة الإنسان أن يكون صاحب القوامة في بيته كما أمره الله بذلك ، لكن مع حسن معاملة لأهله ، ولين جناح ، وتحمل بعض الأذى ، ليجعل بيته جنة له ، ولا يقلبه إلى جحيم يحرقه مع أهل بيته .

وإذا استعرضنا سيرة الرسول الأعظم ﷺ في بيته ومع أزواجه ، وجدناها في قمة العظمة ، وأوج الرفعة ، لين مع حزم ، ومحبة مع هيبة ، وتعاون مع لطف ، وتعليم مع إشفاق .

والسمة الأساسية له ﷺ في بيته أنه كان معلما حكيما ، ومرشدا عليما ، كما قال ﷺ : إن الله لم يبعثني متعنتا ، وإنما بعثني معلما مبشرا[1]

كان ﷺ معلما بأفعاله قبل أن يكون معلما بأقواله ، من ساعة دخوله إلى بيته إلى ساعة خروجه ، محافظا على العبادات والنوافل .

فقد جاء عن شريح بن هانيء أنه قال : قلت لعائشة رضي الله عنها:

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٣/٣٢٨، ومسلم برقم ١٤٧٨، الدر المنثور ٦/٥٩٤

بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت : بالسواك .[1]

فالسواك مستحب في كل حال ، وفي استعماله من النبي ﷺ ساعة دخوله البيت تعليم لنا بإزالة الروائح من الفم ، ليدخل الرجل على أهله برائحة مستحسنة ، حتى لايشق على أهل بيته ، وفي هذا يكون اللقاء الأول بين الزوجين سليما بعيدا من المؤذيات والمنفرات .

وكذلك كان حاله ﷺ في الخروج من البيت ، فقد ورد عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال : ماكان رسول الله ﷺ يخرج من بيته لشيء من الصلاة حتى يستاك .

أخرجه الطبراني بإسناد لابأس به .

فهذا عمل سهل فعله ، كثير نفعه ، فإذا دخل ﷺ بيته كان بعيدا من رائحة الفم ، وبذا يعظم استقباله ، وإذا خرج كذلك ليتلهف أهل بيته وأزواجه على مجيئه .

♥♥♥

(١) الحديث أخرجه مسلم برقم ٢٥٣.

طعامه ﷺ مع أزواجه
في حجراتهم

***

وأما سيرته ﷺ في بيته فيما يتعلق بأكله وشربه ، فقد كان أبعد الناس عن الاهتمام بطعامه وشرابه ، فما وجد أكل ، وإلا صام وصبر ، فتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها هديه في ذلك فتقول :

كان يأتيها ﷺ وهو صائم فيقول : أصبح عندكم شيء تطعمونيه ؟

فتقول : لا ، ماأصبح عندنا شيء كذاك .

فيقول ﷺ : إني صائم .ثم جاءها بعد ذلك ، فقالت : أهديت لنا هدية فخبأناها لك .

قال : ماهي ؟

قالت : حيس .

قال : قد أصبحت صائما ، فأكل .[1]

هذا الحديث يبين لنا معيشة النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات ، وصبرهم جميعا على شدة العيش وشظفه ، ويبين لنا مدى الخلق العظيم الذي كان عليه ﷺ ، وما أحوجنا في هذه الأيام إلى التأسي به ﷺ في سيرته وأخلاقه فلو أن رجلا اليوم دخل بيته وهو جائع تعب ، ورأى أن أهل بيته لم يصنعوا له طعاما ، لجعل يومهم أسود ، وعيشهم شقاء .

ماهكذا كان رسول الله ﷺ ، وليس هذا من مكارم الأخلاق ، وحسن التعامل مع الأهل ، فكيف نفعل هذا والسيدة عائشة رضي الله عنها تحكي لنا حالها مع رسول الله ﷺ في الطعام فتقول :

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩/٦

كان يأتي على آل محمد ﷺ الشهر ، مايوقدون فيه نار ، ليس إلا التمر والماء ، إلا أن نؤتى باللحم [١]

وأحيانا يمر على النبي ﷺ وأزواجه أكثر من شهر لايطبخون في بيتهم شيئا ، وهاهي السيدة عائشة رضي الله عنها تقول لابن أختها عروة بن الزبير : إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وماأوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار .

فقال لها : ماكان يعيشكم ؟

قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه [٢] .

المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة أو الشاة ، تعطيها غيرك يحتلبها ، ثم يردها عليك .

وتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها أيضا ماكان يأكله النبي ﷺ في اليوم فتقول :

ماأكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا أحداهما تمر [٣]

وتقول أيضا :

ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض [٤]

وتقول أيضا : ماشبع آل محمد من خبز بر مأدوم [٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٥٠ ، والبخاري في الرقاق ١١/٢٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ١١/٢٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ١١/٢٨٢ ، ومسلم برقم ٢٩٧٢.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق ١١/٢٨٢ .

(٥) أخرجه مسلم في الزهد برقم ٢٩٧١.

وتقول أيضا : ماشبع رسول الله ﷺ من خبز وزيت في يوم واحد مرتين [1].

وتقول أيضا : والله ، ماشبع من خبز ولحم من يوم مرتين [2].

وتقول السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها : دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال : هل من طعام ؟ فقلت : لا ، إلا عظما أعطيته مولاتنا من الصدقة ، فقال : قربيه ، فقد بلغت محلها [3]

فائدة :

قال الطبري : استشكل بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كان يطوون الأيام جوعا ، مع ماثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة ، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بعير مما أفاء الله عليه ، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة ، فنحرها وأطعمها المساكين ، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم ، وغير ذلك مع من كان معه من أصحاب الأموال ، كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، وغيرهم ، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه ، وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله ، وعمر بنصفه ، وحث على تجهيز جيش العسرة ، فجهزهم عثمان بألف بعير ، إلى غير ذلك .

والجواب :

إن ذلك كان منهم في حالة دون حالة ، لا لعوز وضيق ، بل تارة للإيثار ، وتارة لكراهة الشبع ، ولكثرة الأكل . انتهى .

قال ابن حجر العسقلاني [4] : ومانفاه مطلقا فيه نظر ، لما تقدم من

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد برقم ٢٩٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في الزهد .

(٣) أخرجه أبو يعلى ٦/٣٠٥، ومسلم ١/٣٤٥.

(٤) في فتح الباري ٢٩١/١١

الأحاديث آنفا ، وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة :

من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم ، فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئا من التمر والودك .

وجاء عنها أيضا :

لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

وكذا عنها :

توفي رسول الله ﷺ حين شبعنا من التمر .

والحق أن الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حين كانوا بمكة ، ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك ، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنائح ، فلما فتحت لهم النضير ومابعدها ردوا عليهم منائحهم .

نعم ، كان ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له ، كما أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة :

عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا ، يارب ، ولكن أشبع يوما ، وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك ، وإذا شبعت شكرتك .

قلت : وقعت غزوة بني النضير في ربيع الأول آخر سنة ٤ هـ .

وفتحت قريظة سنة ٥هـ من شهر ذي القعدة .

أما فتح خيبر فكان في السنة السابعة من الهجرة ، أي : إن النبي ﷺ وآل بيته قد شبعوا من التمر قبل وفاته ﷺ بثلاث سنين .

وكان النبي ﷺ يقول : اللهم ارزق آل محمد قوتا .[1]

وتحدثنا السيدة حفصة بم يأكل رسول الله ﷺ فتقول : كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه ، ويجعل شماله لما سوى ذلك[2].

ويأكل ﷺ ماوجده ، فعن السيدة صفية قالت : دخل عليٌّ رسول الله ﷺ فقربت إليه كتفا باردا ، فكنت أسحاها ، فأكلها ، ثم قام فصلى[3]
تسحاها : تقشرها ، وتكشط عنها اللحم .

فهذه سيرة النبي ﷺ وأزواجه في حجراتهم الشريفة من حيث المأكل والمطعم .

❤❤❤

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٢٨٣/١١
(٢) أخرجه أبو يعلى ٢٩٨/٦
(٣) أخرجه أبو يعلى ٣٢٥/٦

الرسول ﷺ
معلما في حجرات أزواجه

***

ماكانت حجرات أزواج النبي ﷺ مكانا للراحة واللهو وقضاء الوطر ، فحسب بل كانت أيضا محلا لتعليم النبي ﷺ أزواجه وتفقيههم في الدين ، فلم يكن النبي ﷺ ليشغله حق أزواجه ومداعبتهم عن توجيههم والنصح لهم ودلهم على الخير ، إذ أن بعض الحكم من تعدد الزوجات للنبي ﷺ أن يبلغن النساء أحكام الشرع ويعلمنهن إياها ، ونذكر هاهنا بعض هذه التعاليم التي كان يلقيها النبي ﷺ على أهل بيته .

فقد جاء عن حفصة بنت أبي كثير ، عن أبيها قال : علمتني أم سلمة قالت : علمني رسول الله ﷺ قال : قولي ياأم سلمة عند أذان المغرب : اللهم هذا استقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك ، وحضور صلواتك ، وأسألك أن تغفر لي [(١)] .

فتعلمت أم سلمة هذا الدعاء وعلمته ، وكانت أم سلمة تستفتي النبي ﷺ لتتعلم منه أمور دينها

فقد ورد عنها أنها قالت للنبي ﷺ : إني امرأة أشد ضفر رأسي أفحله لغسل الجنابة ؟ قال :

إنما يكفيك أن تحثي عليه ثلاث حثيات من ماء ، ثم تفيضي عليه فإذا أنت قد طهرت .[(٢)]

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند ٢٤١/٦، والحاكم ٢٩٩/١ وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه مسلم ١٤٩/١ ، وأبو يعلى ٢٦٧/٦

وكان النبي ﷺ حريصا على أهل بيته ، مراقبا لتصرفاتهم وأعمالهم، خائفا عليهم من الوقوع في الإثم من حيث لا يشعرون ، فهاهي السيدة أم سلمة رضي الله عنها تقص علينا قصة حدثت لها في بيتها ، فتقول :

اشتكت ابنة لي ، فنبذت لها في كوز ، فدخل النبي ﷺ وهو يغلي ، وقال : ماهذا ؟

فقلت : إن ابنتي اشتكت ، فنبذنا لها هذا ؟ فقال ﷺ :

إن الله عز وجل لم يجعل شفاءكم في حرام .[1]

وكان ﷺ يأمر أهله ويعلمهم الخير وينهاهم عما فيه إثم ، ومن أمثلة ذلك ماجاء عن هنيدة الخزاعي عن أمه قالت : دخلت على أم سلمة ، فسألتها عن الصيام ، فقالت :

كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، أولها الاثنين والخميس والاثنين .[2]

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها ، وهي تختمر فقال : لية لا ليتين .[3]

قال أبو داود : معنى قوله :(لية لا ليتين) يقول : لاتعتم مثل الرجل ، لا تكرره طاقا أو طاقين .

فخاف ﷺ على نسائه أن يتشبهن بالرجال في أبسط الأشياء .

وعن كبشة بنت أبي مريم أنهم سألوا أم سلمة عن الأشربة ، قالت :

---

(١) أخرجه أبو يعلى ٦/٢٧٠ ، وابن حبان (انظر موارد الظمآن ص ٣٣١)

(٢) أخرجه أحمد ٦/٣٨٩ ، والبيهقي ٤/٢٩٥ ، وأبو يعلى ٦/٢٧٥ .

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٤١١٥ ،وأحمد ٥/٢٢٩٤ ، وأبو يعلى ٦/٢٧٢ .

أحدثكم بما كان رسول الله ﷺ ينهى عنه أهله ، كان ينهانا أن نخلط التمر والزبيب ، وأن نعجم النوى طبخا .[1]

ومن أمثلة تعليمه ﷺ لأهله أيضا ماجاء عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وهي صائمة يوم الجمعة ، فقال لها : أصمت أمس ؟ قالت : لا ، قال : أفتصومين غدا ؟ قالت : لا . قال: فأفطري . فنهاها ﷺ عن تخصيص يوم الجمعة بصيام [2]

وماجاء عن جويرية أيضا قالت : أتى علي رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبح ، ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريبا من نصف النهار ، فقال : مازلت قاعدة ؟

قالت : قلت : نعم .

قال : ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن عدلتهن ، أو : لو وزنت بهن وزنتهن ؟ - يعني : بجميع ماسبحت - سبحان الله عدد خلقه ، ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ، ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ، ثلاث مرات [3].

ومن أمثلة تعليمه ﷺ لأهله ، وتوجيههم إلى ماهو أرقى وأفضل ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت ميمونة قالت : أعتقت وليدة في زمن رسول الله ﷺ ، فذكرت ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٢/٦، وأبويعلى ٢٧٦/٦ .

(٢) أخرجه البخاري في الصيام ١/ ٢٣٢ ، وأحمد ٣٢٤/٦، وأبويعلى ٣٠٥/٦ .

(٣) أخرجه مسلم ٣٥٠/٢، وأحمد ٣٢٤/٦، وأبويعلى ٣٠٦/٦ .

لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك [1].

ومن ذلك ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ميمونة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ مر بشاة لميمونة ميتة ، فقال :

ألا أخذوا إهابها فدبغوه ، فانتفعوا به ؟

فقالوا : يارسول الله ، إنها ميتة !

فقال رسول الله ﷺ :

إنما حرم أكلها. [2]

♥♥♥

(١) أخرجه مسلم ٣٢٣/١، وأبويعلى ٣٢٢/٦

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٩/٦، وأبويعلى ٣١١/٦

الحجرات الشريفة محل للفتوى

***

كانت بيوت النبي ﷺ مفتوحة للسائلين والزائرين والمستفتين ، ولم يكن النبي ﷺ ليحتجب في بيته عن الناس ، ولايمنعهم من الخير ، وأنى له أن يفعل ذلك وهو القائل : من ولي من المسلمين شيئا ، فأغلق بابه عن المسكين والضعيف وذي الحاجة دون حاجتهم وفاقتهم أغلق الله عز وجل باب رحمته يوم حاجته وفاقته أحوج مايكون إلى ذلك .(١)

لذلك كان النبي ﷺ لايرد أحدا جاءه ، وخاصة أصحاب الفتيا ، فقد كانت فتاوى الصحابة تأتيه إلى بيته ، فيقبلها ويجيب عنها برحابة صدر ، وبشاشة وجه ، ويحل مشاكل الناس أيضا ، ونذكر بعض الأحاديث الدالة على هذا المعنى .

فمن ذلك ماورد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كنت عند النبي ﷺ جالسة فجاء رجلان يختصمان في أشياء قد درست وبادت ، فقال رسول الله ﷺ :

إنما أقضي بينكما في شيء لم ينزل عليَّ فيه شيء ، من قضيت له بحجة أراها فاقتطع بها من مال أخيه ، فإنما يقتطع بها قطعة من النار يكون إسطاما في رقبته يوم القيامة . فبكى الرجلان وقالا : يارسول الله ، حقي الذي أطلب لأخي .

فقال رسول الله ﷺ : لا ، ولكن اذهبا فاقتسما ، وتواخيا ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه (٢) .

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤١/٣ ، وأبو يعلى ٤٤١/٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى ٢٩٣/٦

الإسطام : الحديدة التي تحرك بها النار وتسعر .
أي أقطع له مايسعر به النار على نفسه ويشعلها .

ومن ذلك ماجاء عن أبي موسى الأشعري قال :
دخلت امرأة ابن مظعون على نساء النبي ﷺ ، فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك ؟ مافي قريش رجل أغنى من بعلك !
قالت : ماكنا منه في شيء . أما نهاره فصائم ، وأما ليله فقائم .
قال : فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له . قال : فلقيه النبي ﷺ فقال : ياعثمان ، أما لك بي أسوة ؟
قال : وماذاك يارسول الله ، فداك أبي وأمي ؟
قال : أما أنت فتقوم بالليل ، وتصوم بالنهار ، وإن لأهلك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا ، فصل ونم ، وصم وأفطر .
قال : فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس ، فقلن لها : مه ؟
قالت : أصابنا ما أصاب الناس .(١)

ومن ذلك ماجاء عن أم سلمة وأم حبيبة زوجتي النبي ﷺ قالتا :
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يارسول الله ، إن ابنتي توفي زوجها ، وأنا أتخوف على عينها ، أفأكحلها ؟
فقال رسول الله ﷺ : قد كانت المرأة منكن ترمي بالبعرة على رأس الحول ، إنما هي أربعة أشهر وعشر .(٢)

---

(١) أخرجه أبو يعلى ٦/٣٨٦ ، وابن حبان (الإحسان ١/٣١٨)
(٢) أخرجه البخاري ٢/٨٠٣ ، ومسلم ١/٤٨٧ ، وأبو يعلى ٦/٢٦٨ .

ومن ذلك ما جاء عن زينب بنت أم سلمة قالت :

دخلت أم سليم على رسول الله ﷺ فقالت : إن الله لا يستحيي من الحق ، هل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟

قال : نعم ، إذا رأت الماء .

قالت أم سلمة : وهل تحتلم المرأة ؟

فقال : تربت يمينك ، فمم يشبهها ولدها ؟ [1]

ومن ذلك ماورد عن عائشة قالت : استحيضت أم حبيبة بنت جحش وهي تحت عبد الرحمن بن عوف سبع سنين ، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ :

إن هذه ليست بالحيضة ، وإنما هو عرق ، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغتسلي ، ثم صلي . قالت عائشة : فكانت تغتسل لكل صلاة ، ثم تصلي ، وكانت تقعد في مركن لأختها زينب بنت جحش ، حتى إن حمرة الدم لتعلو الماء . [2]

♥♥♥

---

(١) أخرجه البخاري في العلم ٢٤/١ ، ومسلم ١٤٦/١ ، وأبو يعلى ٢٤٠/٦ .

(٢) أخرجه أحمد ٨٣/٦ .

عبادة الرسول ﷺ في بيته

***

كان النبي ﷺ في حجرات أزواجه دائم العبادة ، محافظا عليها من غير أن يقصر في حقوق أهل بيته ، أو يخل بها ، يطبق قوله تعالى :

﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ الحجر : ٩٩

فكان إذا أراد النوم ذكر الله عند نومه ، فعن حفصة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه اضطجع على يمينه ، وقال : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك .(١)

وإذا استيقظ يبدأ بذكر الله فعن حفصة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أذن المؤذن بالفجر قام ، فصلى ركعتي الفجر ، ثم خرج إلى المسجد .(٢)

ويحكي لنا عبد الله بن عباس عمل النبي ﷺ في بيته حين يستيقظ فيقول : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ماقدمت وماأخرت ، وماأسررت وماأعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لاإله إلا أنت ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .(٣)

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨٨/٦، وأبو يعلى ٢٩٦/٦ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٤/٦، وأبو يعلى ٢٩٦/٦ .

(٣) أخرجه البخاري في التهجد ٣/٣ ، ومسلم برقم ٧٦٩ .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال :

بت عند خالتي ميمونة ، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، ثم استيقظ ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة آل عمران حتى ختم ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [1] .

وعن أبي سلمة قال : سألت عائشة : بم كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل ؟ قالت : كان يقول : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بأمرك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .[2]

ثم يصلي رسول الله ﷺ بالليل ، فتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة ، كانت تلك صلاته، يسجد السجدة من ذلك قدر مايقرأ أحد خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة [3] .

وعنها أنها قالت : كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة ، معترضة على فراشه ، فإذا أراد أن يوتر أيقظني ، فأوترت .[4]

فكان ﷺ يصلي من الليل ويوقظ أهله للصلاة .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم برقم ٧٧٠

(٣) أخرجه البخاري في التهجد ٧/٢

(٤) أخرجه البخاري في الوتر ٤٠٦/٢ ، ومسلم برقم ٧٤٤

فإذا أصبح ﷺ دعا الله وذكره ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح :

اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة . اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ، ودنياي ، وأهلي ، ومالي . اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي . اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي .[1]

فإذا دخل وقت الضحى ، صلى رسول الله ﷺ صلاة الضحى .

فقد سألت معاذة عائشة فقالت : أكان النبي ﷺ يصلي الضحى ؟

قالت : نعم ، أربع ركعات ، ويزيد ماشاء الله .[2]

وتحكي لنا السيدة حفصة زوج النبي ﷺ ماكان يفعله رسول الله ﷺ في بيتها يوم الجمعة .

فتقول : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الجمعة دخل بيتها ، فصلى ركعتين .[3]

وكان ﷺ إذا حدث حادث أيقظ أهله ، وأمرهم بالصلاة والتضرع إلى الله تعالى .

فعن أم سلمة قالت :

خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال : سبحان الله ! ماأنزل الله من الفتن ؟ وماذا فتح من الخزائن ؟ أيقظوا صواحب الحجرات ، فرب كاسية

(١) أخرجه أبو داود والنسائي .

(٢) أخرجه مسلم برقم ٧١٩ .

(٣) أخرجه أبو يعلى ٦/٢٩٧ .

في الدنيا عارية يوم القيامة .[1]

وتصف السيدة عائشة ذكر الرسول ﷺ لربه فتقول :
كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه .[2]

وأما صومه ﷺ فتقول السيدة عائشة : لم يكن النبي ﷺ يصوم في شهر أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله .[3]
ويقول ابن عباس : كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر .[4]

♥♥♥

(١) أخرجه البخاري في العلم . فتح الباري ١/ ٢١٠ ، وأبو يعلى ٦/٢٧٧ .
(٢) أخرجه مسلم برقم ٣٧٣ ، وأبو داود ١٨ .
(٣) البخاري في الصوم ٤/١٨٦ ، ومسلم برقم ١٧٦ .
(٤) النسائي ٤/١٩٨ .

سيرة الرسول ﷺ الخاصة مع أزواجه في الحجرات الشريفة

***

لقد وصف الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه القدوة الحسنة لهذه الأمة ، فقال عز من قائل :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ الأحزاب : ٢٢

فيقتدى به ﷺ في جميع أحواله ، الخاصة والعامة ، وقد كان النبي ﷺ في بيته يعدل في العطية ، ويقسم بالسوية ، ويخشى الله في أزواجه، فجعل لكل واحدة ليلة ، وفي ذلك تقول السيدة عائشة مخاطبة ابن أختها عروة بن الزبير :

ياابن أختي ، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها ، فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت ، وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ : يارسول الله ، يومي لعائشة . فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها .

قالت : نقول : في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ [١] النساء : ١٢٨

---

(١)أخرجه أبو داود برقم ٢١٣٥ ، وابن سعد ٨/٥٣ .

وتصف لنا السيدة عائشة كذلك حال النبي ﷺ مع أهله فيما يتعلق بالأمور الزوجية فتقول رضي الله عنها :

كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أتزر وأنا حائض ويباشرني [(١)].

وتقول أيضا : كان رسول الله ﷺ يباشرني وهو صائم ، ولكن أملككم لإربه [(٢)].

وتقول رضي الله عنها : أهوى النبي ﷺ ليقبلني ، فقلت : إني صائمة .

قال : وأنا صائم . فقبلني .[(٣)]

وتقول أيضا :

كان رسول الله يظل صائما ، فيقبل ماشاء من وجهي .[(٤)]

وكان ﷺ كثير الحلم في بيته لايضرب أحدا ، وقد حدثت له حادثة وهو في بيت أم سلمة ترويها لنا أم سلمة فتقول : كان رسول الله ﷺ في بيتي ، وكان بيده سواك ، فدعا وصيفة له ، أولها ، حتى استأثر الغضب في وجهه ، فخرجت أم سلمة إلى الحجرات ، فوجدت الوصيفة وهي تلعب ببهمة ، فقالت : ألا أراك تلعبين بهذا البهمة ورسول الله يدعوك ؟ فقالت: لا والذي بعثك بالحق ، ماسمعتك .

فقال رسول الله ﷺ : لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك .[(٥)]

فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها ، وهذه كانت دائما سيرته .

---

(١) أخرجه البخاري في الحيض ، ومسلم برقم ٢٩٣ .

(٢) أخرجه النسائي في العشرة ص ١٩٩ .

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٢٣٨٤ ، والنسائي في العشرة ص١٩٩ .

(٤) أخرجه النسائي في عشرة النساء ص ١٩٩ .

(٥) أخرجه أبو يعلى ٦/٢٦١ .

الغيرة بين صاحبات الحجرات

***

معلوم أن الغيرة بالنساء جبلية غريزية ، والنبي ﷺ اجتمع عنده تسع نسوة ، فلابد أن يقع بينهن الغيرة والتنافس ، ولا بد أن ينقسمن على أنفسهن ، وهذا ماحدث فعلا ، ونذكر في هذا المقام بعض الحوادث والأمور التي جرت في بيوت النبي ﷺ من المنافسات والمراجعات بين أزواج النبي ﷺ ، ونبدأ بخبر ترويه لنا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول :

إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر أزواجه ، وكانوا - المسلمون - قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان في بيت عائشة بعث بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فتكلم حزب أم سلمة فقلن لها : كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، فيقول : من أراد أن يهدي إلى رسول الله هدية فليهد إليه حيث كان من نسائه .

فكلمته أم سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها ، فقالت : ماقال لي شيئا . فقلن : كلميه . قالت : فكلمته حين دار إليها ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها ، فقالت : ماقال لي شيئا .

فقلن لها كلميه ، فدار إليها فكلمته .

فقال لها : لا تؤذيني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة .

فقالت : أتوب إلى الله من أذاك يارسول الله .

ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر ، فكلمته ، فقال : يابنية ، ألا تحبين ماأحب ؟

قالت : بلى ، فرجعت إليهن وأخبرتهن .

فقلن : ارجعي إليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش ، فأتته فأغلظت ، وقالت : إن نساءك ينشدنك الله العدل في ابنة أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة ، فسبتها ، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تتكلم . قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، فنظر النبي ﷺ إلى عائشة ، وقال : إنها ابنة أبي بكر .[1]

فهذا مثال صحيح يبين لنا تنافس الضرائر ، وتغايرهن على الرجل ، وماكان جواب النبي ﷺ إلا السكوت ، وترك النساء يتقاولن ويتراجعن فيما بينهن ، ولم يمل مع بعض على بعض ، لئلا يؤدي ذلك إلى جرحهن ، وفي هذا حكمة بالغة من النبي ﷺ في معالجة الأمور ، وتزعم عائشة رضي الله عنها لحزب من نسائه ﷺ وأم سلمة لحزب آخر يبدأ من تزوج النبي ﷺ لأم سلمة ، وغيرة عائشة منها ، فتقول لنا السيدة عائشة :

لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة حزنت حزنا شديدا ، لما ذكروا لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيتها - والله - أضعاف ماوصفت لي في الحسن ، فذكرت ذلك لحفصة - وكانتا يدا واحدة - فقالت : لا والله ، إن هذه إلا الغيرة ، ماهي كما تقولين ، وإنها لجميلة ، فرأيتها بعد ، فكانت كما قالت حفصة ، ولكني كنت غيرى .

ومن الأمور التي جرت أيضا في الحجرات الشريفة من الغيرة بين أزواج النبي ﷺ مارواه أنس بن مالك حيث قال :

(١) الحديث أخرجه البخاري في الهبة ٥/ ٢٠٥ ، ومسلم برقم ٢٤٤٣

كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين ، فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام ، فضربت يد الرسول ، فسقطت القصعة فانكسرت ، فأخذ النبي ﷺ الكسرتين ، فضم إحداهما إلى الأخرى ، فجعل يجمع فيها الطعام ، ويقول : غارت أمكم ، كلوا .

فأكلوا ، فأمر حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها ، فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول ، وترك المكسورة في بيت التي كسرتها .[1]

وفي رواية أخرى مبينة لصاحبة القصة ترويها السيدة عائشة فتقول : ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ! أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام ، فما ملكت نفسي أن كسرته ، فسألت النبي ﷺ عن كفارته ، فقال :

إناء كإناء ، وطعام كطعام .[2]

فغارت السيدة عائشة من صفية رضي الله عنهما أجمعين ، وتكررت هذه الغيرة من السيدة عائشة مرة أخرى ، لكن هذه المرة غارت من أم سلمة رضي الله عنها ، فعن أم سلمة أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى النبي ﷺ وأصحابه ، فجاءت عائشة متزرة بكساء ، ومعها فهر ، ففلقت به الصحفة ، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة ويقول :

كلوا ، غارت أمكم ، كلوا ، غارت أمكم .

ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة ، فبعث بها إلى أم سلمة ، وأعطى صحفة أم سلمة لعائشة .[3]

هدوء تام من النبي ﷺ واتزان كامل في معالجة الغيرة ، وعدم انفعال يؤدي إلى تفاقم الأمر .

---

(١) أخرجه النسائي في عشرة النساء ص٤٧، وأبو داود برقم ٣٥٦٧ ، وابن ماجة برقم ٢٣٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٣٥٦٨، والنسائي في عشرة النساء ص ٤٨.

(٣) أخرجه النسائي ص ٤٨.

ومن أمثلة الغيرة بين الأزواج كذلك مارواه ابن عباس رضي الله عنهما فقال :

كانت عائشة وحفصة متحابتين ، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تحدث عنده فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته ، فظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم الذي يأتي فيه حفصة ، فوجدتهما في بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غيرة شديدة ، فأخرج النبي ﷺ جاريته ، ودخلت حفصة ، فقالت : قد رأيت من كان عندك ، والله لقد سؤتني .

فقال النبي ﷺ : والله ، لأرضينك ، وإني مسر إليك سرا فأحفظيه.

قالت : وماهو ؟

قال : إني أشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام ، رضا لك ، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرت إليها أن أبشري ، إن النبي ﷺ قد حرم عليه فتاته ، فلما أخبرت بسر النبي ﷺ أظهر الله النبي ﷺ عليه فأنزل الله :

﴿ ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك ﴾ (١)

ومن أمثلة الغيرة أيضا ماجاء عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يشرب من شراب عند سودة من العسل ، فدخل على عائشة فقالت : إني أجد منك ريحا ، فدخل على حفصة فقالت : إني أجد منك ريحا ، فقال : أراه من شراب شربته عند سودة ، والله لاأشربه ، فأنزل الله

﴿ ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك ﴾ التحريم :١(٢)

وحصلت الغيرة أيضا للسيدة عائشة من أم سلمة ، فقد أخرج ابن

---

(١) الحديث أخرجه ابن سعد وابن مردويه ، وانظر الدر المنثور ٢١٤/٨.

(٢) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند صحيح ، الدر المنثور ٢١٣/٨

سعد عن عبد الله بن رافع قال : سألت أم سلمة عن هذه الآية : ﴿ ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك ﴾

قالت : كانت عندي عكة من عسل أبيض ، فكان النبي ﷺ يلعق منها ، وكان يحبه ، فقالت له عائشة : نحلها تجرس عرفطا ، فحرمها ، فنزلت هذه الآية .

العرفط : شجرة الطلح ، وله صمغ كريه الرائحة ، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه .

وجرت هذه الحادثة أيضا مع زينب بنت جحش ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، ويمكث عندها ، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير ؟ إني أجد منك ريح مغافير .

قال : لا ، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود له ، وقد حلفت ، لا تخبري بذلك أحدا [١].

المغافير : صمغ يسيل من شجر العرفط غير أن رائحته ليست بطيبة

فائدة :

تكررت الأحاديث الواردة فيما سبق بسبب نزول الآية ، ولا يمنع أن تكون الآية قد نزلت لأكثر من سبب واحد .

ومن الغيرة على النبي ﷺ ماحدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه،

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨/٦٥٦

فتحسسته فإذا هو راكع أو ساجد يقول : سبحانك وبحمدك ، لاإله إلا أنت.

فقالت : بأبي وأمي ، إنك لفي شأن ، وإني لفي آخر .[1]

وحصلت حادثة أخرى مع السيدة عائشة شبيهة بهذه ، ترويها لنا فتقول : ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ وعني ؟

قلنا : بلى .

قالت : لما كانت ليلتي انقلب ، فوضع نعليه عند رجليه ، ووضع رداءه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، ولم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت ، ثم انتعل رويدا ، وأخذ رداءه رويدا ، ثم فتح الباب رويدا ، فخرج وأجافه رويدا ، وجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري ، وانطلقت في أثره حتى جاء البقيع ، فرفع يديه ثلاث مرات ، وأطال القيام، ثم انحرف وانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهول فهرولت وأحضر فأحضرت ، وسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال :

مالك ياعائش رابية حشيا ؟

قلت : لاشيء .

قال : لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير .

قلت : يارسول الله ، فأخبرته الخبر .

قال : أنت السواد الذي رأيت أمامي ؟

قلت : نعم .

قالت : فلهدني لهدة في صدري أوجعني .

قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله .

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٢١، والنسائي في العشرة ص٥١ .

قالت : مهما يكتم الناس فقد علمه الله .

قال : نعم ، فإن جبريل أتاني حين رأيت ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، فناداني وأخفى منك ، وأجبته فأخفيته منك .وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشي ، فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم .[1]

فكانت السيدة عائشة كثيرة الحب للنبي ﷺ ، لذلك كانت شديدة الغيرة عليه من أزواجه ، حتى إنها غارت من السيدة خديجة رضي الله عنها بعد موتها . وتقص علينا السيدة عائشة خبرها ، فتقول :

كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها ، واستغفار لها ، فذكرها يوما ، فحملتني الغيرة ، فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن ، فرأيته غضب غضبا شديدا ، وأسقطت في خلدي ، وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء ، فلما رأى النبي ﷺ مالقيت ، قال : كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني .

قالت : فغدا وراح علي بها شهرا .[2]

وغارت زينب بنت جحش من عائشة ، وذلك أنها دخلت على عائشة وهي غضبى ، ثم قالت لرسول الله ﷺ : أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريعتها ؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٠٣ ، والنسائي في العشرة ص٥٢

(٢) أخرجه أحمد ١١٧/٦ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١١٢/٢

ثم أقبلت على عائشة ، فأعرضت عنها عائشة ، فقال النبي ﷺ : دونك فانتصري ، فأقبلت عليها - أي : السيدة عائشة - حتى رأيت قد يبس ريقها في فمها ، فما ترد علي شيئا ، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه[(١)]

وغارت عائشة وحفصة من صفية بنت حيي ، فتروي لنا صفية حديثا فتقول : دخل علي رسول الله ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام ، فذكرت له ذلك ، فقال : ألا قلت : وكيف تكونان خيرا مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى ؟ وكان بلغها أنهما قالتا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، نحن أزواجه ، وبنات عمه[(٢)] .

وكذا غارت الأزواج كلهن من صفية رضي الله عنها ، فعن زيد بن أسلم أن نبي الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه قالت صفية بنت حيي : والله يانبي الله ، لوددت أن الذي بك بي ، فغمزها أزواجه ، فأبصرهن ، فقال : مضمضن .

قلن : من أي شيء ؟

قال : من تغامزكن بها ، والله إنها لصادقة .[(٣)]

وغارت منها عائشة لما تزوجها النبي ﷺ ، فعن ابن عمر قال :

لما اجتلى رسول الله ﷺ صفية رأى عائشة متنقبة في وسط النساء ، فعرفها فأدركها ، فأخذ بثوبها ، فقال : ياشقيراء ، كيف رأيت ؟

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٩٣

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٣٨٩٢ ، والحاكم ٤/٢٩ ، وفيه ضعف .

(٣) أخرجه ابن سعد ٨/١٢٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٥

قالت : رأيت يهودية بين يهوديات .[1]

وفي رواية عن عطاء بن يسار قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر ومعه صفية أنزلها ، فسمع بجمالها نساء الأنصار ، فجئن ينظرن إليها .، وكانت عائشة متنقبة حتى دخلت ، فعرفها ، فلما خرجت خرج فقال : كيف رأيت ؟

قالت : رأيت يهودية .

قال : لاتقولي هذا ، فقد أسلمت .[2]

ومن غيرة عائشة من صفية أيضا . ماروته عائشة فقالت : قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا ، تعني : قصيرة .

فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته .

قالت عائشة : وحكيت له إنسانا .

فقال : ماأحب أني حكيت إنسانا ، وأن لي كذا وكذا .[3]

فالنبي ﷺ كان يعذر أزواجه في الغيرة ، لكن ضمن حدود الشرع ، فلما اغتابت السيدة عائشة صفية أنكر عليها النبي ﷺ لأنه لا يسكت على منكر .

ومن غيرة أزواج النبي ﷺ وتدبيرهن ماجاء عن عبد الواحد بن أبي عون : أن النعمان بن أبي الجون الكندي قدم مسلما ، فقال :

يارسول الله ، ألا أزوجك أجمل أيم في العرب ، وقد رغبت فيك ؟

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٢٥/٨

(٢) أخرجه ابن سعد ١٢٦/٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٢

(٣) أخرجه أحمد ١٨٩/٦ ، وأبو داود برقم ٤٨٧٥

فتزوجها على اثنتي عشرة أوقية ونش .

فقال : لا تقصر بها في المهر .

قال : ماأصدقت أحدا فوق هذا .

فبعث معه أبا أسيد ، فلما قدما عليها جلست ، وأذنت له ،

فقال أبو أسيد : إن نساء رسول الله ﷺ لا يراهن الرجال ، فتحملت مع الظعينة على جمل في محفة ، فأقبلت بها حتى أنزلتها في بني ساعدة، فدخل عليها النساء فرحبن بها ، ثم خرجن ، فذكرن جمالها ، وشاع ذلك ، فدخل عليها داخل من النساء ، فقيل لها : إنك ملكة ، فإن كنت تريدين أن تحظي عند رسول الله فقولي : أعوذ بالله منك ، فإنه يرغب فيك .(١)

وفي رواية :

فقالت حفصة لعائشة : اخضبيها أنت ، وأنا أمشطها .

ففعلتا ، ثم قالت لها إحداهما : إنه يعجبه أن تقول المرأة : أعوذ بالله منك .

فلما دخلت عليه ، وأرخي الستر مد يده إليها ، فقالت : أعوذ بالله منك .

فقال بكمه على وجهه ، فاستتر ، وقال : عذت بمعاذ ، وخرج ،

فقال : ياأبا أسيد ، ألحقها بأهلها ، ومتعها برازقيين . يعني : كرباسين .(٢)

فكانت تقول : ادعوني الشقية .(٣) وماتت كمدا .

فكان هذا العمل من أشد الأعمال ، والنتائج المترتبة عن الغيرة .

---

(١) أخرجه الحاكم ١٦/٤ ، وابن سعد ١٤٣/٨ بسند ضعيف .

(٢) الكرباس : القطن . يريد : ثوبين من القطن .

(٣) أخرجه الحاكم ٣٧/٤ ، وابن سعد ١٤٥/٨ ، ونحو هذه القصة في البخاري ٣١١/٩ .

ثم إن أزواج النبي ﷺ تسامحن فيما بينهن ، وعفا بعضهن عن بعض، فقد جاء عن عائشة أنها قالت :

دعتني أم حبيبة عند موتها ، فقالت : قد كان يكون بيننا مايكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ماكان من ذلك .

فقلت : غفر الله ذلك كله ، وحللك من ذلك .

فقالت : سررتني ، سرك الله .

وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .(١)

فهذه هي أخلاق أزواج النبي ﷺ ، التسامح والعفو ، حتى يقدمن على الله تعالى بقلب سليم .

♥♥♥

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٠ ، والمستدرك ٤/ ٢٢ .

تفاخر نساء النبي ﷺ فيما بينهن

***

كان نساء النبي ﷺ يفتخرن على بعضهن إذا خصصن بمزية ، ومن ذلك ماورد عن عائشة أنها قالت :

أتاني رسول الله ﷺ في غير يومي يطلب مني ضجعا ، فدق ، فسمعت الدق ، ثم خرجت ففتحت له ، فقال : ماكنت تسمعين الدق ؟

قلت : بلى ، ولكنني أحببت أن يعلم النساء أنك أتيتني في غير يومي .[1]

ومن ذلك ماجاء في حق زينب بنت جحش ، حيث نزل فيها وفي زيد ابن حارثة قوله تعالى ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ الأحزاب :٣٧ فزوجها الله تعالى بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد ، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين ، وتقول :

زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق عرشه [2].

ومن ذلك ماورد في حق حفصة بنت عمر ، فقد طلقها النبي ﷺ تطليقة ، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك ، وقال : إنها صوامة قوامة ، وهي زوجتك في الجنة .[3]

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢/٧٤

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣/٣٤٧

(٣) أخرجه النسائي ٦/٢١٣، والحاكم ٤/١٥ بسند صحيح .

ومن ذلك ماجاء في حق جويرية ، فعن عائشة قالت :

لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في سهم رجل ، فكاتبته ، وكانت حلوة ملاحة ، لايراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه ، فكرهتها - يعني لحسنها -

فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك ، وقد كاتبت فأعني .

فقال : أو خير من ذلك ، أؤدي عنك وأتزوجك ؟

فقالت : نعم ، ففعل .

فبلغ الناس فقالوا : أصهار رسول الله فأرسلوا ماكان في أيديهم من بني المصطلق ، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها [١] .

❤❤❤

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/٢٩٤ ، وذكره الذهبي في السير ٢/٢٦٤، وسنده صحيح .

استقبال النبي ﷺ للزائرين في حجراته

***

كانت الحجرات الشريفة مقصد الناس ، حيث يأتي الزائرون والوفود إلى النبي ﷺ في بيته ، فيستقبلهم ويكرمهم ، ويبش لهم ، ويعلمهم أمور دينهم ، فتروي لنا السيدة أم حبيبة زوج النبي ﷺ خبر بعضهم فتقول :

إن ناسا من اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فأعلمهم الصلاة والسنن والفرائض .

قالوا : يارسول الله ، إن لنا شرابا نصنعه من القمح والشعير .

قال : الغبيراء ؟ قالوا : نعم .

قال : لا تطعموه .

ثم لما كان بعد ذلك بيومين ذكروها له أيضا . قال : الغبيراء ؟

قالوا: نعم . قال : فلا تطعموه . ثم لما أرادوا أن ينطلقوا سألوه عنه. فقال : الغبيراء ؟ قالوا : نعم . قال : فلا تطعموه . قالوا : فإنهم لايدعونها .

قال : من لم يتركها فاضربوا عنقه . (١)

ويأتيه الصحابة رضوان الله عنهم زائرين مستأنسين به ، فعن عبد الله بن عمر قال : بينا رسول الله ﷺ جالس ، وعائشة جالسة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ، ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفا عن ركبتيه ، فمد ثوبه على ركبتيه، وقال لامرأته : استأخري عني .

فتحدثوا ساعة ثم خرجوا .

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٤٢٧ ، وأبو يعلى ٦/١٣٧.

قالت عائشة : فقلت : يارسول الله ، دخل عليك أصحابك فلم تصلح ثوبك ، ولم تؤخرني عنك ، حتى دخل عثمان .
فقال : ياعائشة ، ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة ؟ والذي نفس محمد بيده ، إن الملائكة تستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريبة مني لم يرفع رأسه ، ولم يتحدث حتى يخرج .[1]

وأحيانا تأتيه ابنته فاطمة رضي الله عنها فتزوره في بيته ، وكان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ، ويسر إليها ، وتروي لنا السيدة عائشة استقبال النبي ﷺ لابنته ومعاملته معها فتقول :
مارأيت أحدا من الناس أشبه كلاما برسول الله ﷺ ولا حديثا ولا جلسة من فاطمة .
قالت : كان رسول الله ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ، ثم قام إليها فقبلها ، ثم أخذ بيدها ، فجاء بها حتى يجلسها في مكانه ، وكانت إذا رأت النبي ﷺ رحبت به ، ثم قامت إليه فقبلته .[2]

ماأرفع هذا الأدب النبوي وما أعظمه ! وما أحسن معاملة رسول الله ﷺ لابنته وأكرمها !

وتروي لنا السيدة أم سلمة رضي الله عنها زيارة فاطمة رضي الله عنها لأبيها عليه الصلاة والسلام في حجرتها فتقول :

---

(١) أخرجه أبو يعلى ٢٦٣/٦ .
(٢) أخرجه أبو داود برقم ٥٢١٧ ، والترمذي برقم ٣٨٧٢ ، والنسائي في العشرة ص ٣٠١ .

جاءت فاطمة بنت النبي ﷺ إلى رسـول الله ﷺ متوركة الحسن والحسين ، في يدها برمة للحسن فيها سخين ، حتى أتت بها النبي ﷺ ، فلما وضعتها قدامه قال لها :

أين أبو الحسن ؟

قالت : في البيت . فدعاه ، فجلس النبي ﷺ وعلي وفاطمة ، والحسن والحسين يأكلون .

قالت أم سلمة : وما سامني النبي ﷺ ، وما أكل طعاما قط إلا وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم .

تعني : سامني : دعاني إليه .

فلما فرغ التف عليهم بثوبه ، ثم قال : اللهم عاد من عاداهم ، ووال من والاهم . (١)

وكان النبي ﷺ يدعوها لبيته لشدة حبه لها ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة : ائتني بزوجك وبابنيك .

قالت : فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساء فدكيا ، ثم وضع يده عليهم فقال :

اللهم ، إن هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد ، وعلى آل محمد إنك حميد مجيد .

قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل فيهم فجذبه من يدي ، وقال: إنك على خير . (٢)

---

(١) أخرجه أبو يعلى ٢٦٥/٦ بسند جيد .

(٢) أخرجه أبو يعلى ٢٩٢/٦ وفيه ضعف .

كما كان الصحابة رضي الله عنهم يأتونه في بيته ﷺ لحاجتهم وأمورهم ، فعن أبي موسى الأشعري قال :

ولد لي غلام ، فأتيت به رسول الله ﷺ ، فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلي ، وكان أكبر ولد أبي موسى . [1]

وعن أبي موسى أيضا قال : دخلت على رسول الله ﷺ أنا ورجلان من بني عمي ، فقال أحد الرجلين : أي رسول الله ، أمرنا على بعض ماولاك الله . وقال الآخر مثل ذلك .

فقال : إنا - والله - لا نولي هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا حرص عليه . [2]

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : اشدد عليك ثيابك . قال : ففعلت ، ثم أتيته فوجدته يتوضأ ، فرفع رأسه فصعد في البصر وصوبه ، ثم قال : اعرف أني أريد أن أبعثك وجها ، فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة .

قال : قلت : يارسول الله ، إني لم أسلم رغبة في المال ، إنما أسلمت رغبة في الجهاد والكينونة معك .

فقال : ياعمرو ، نعما المال الصالح للرجل الصالح . [3]

وهذا معاوية بن أبي سفيان يدخل بيت النبي ﷺ زائرا له ، ولأخته أم حبيبة ، فيقول : دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، ورسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ٨٢١/٢ ، وأبو يعلى ٤١٤/٦ .

(٢) أخرجه البخاري ١٥٨/٢ ، ومسلم ١٢٠/٢ ، وأبو يعلى ٤١٧/٦ .

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٢/٤ ، وأبو يعلى ٤٢٣/٦ .

يصلي في ثوب واحد ، فقلت : ألا أراه يصلي كما أرى ؟

قالت : نعم ، وهو الثوب الذي كان فيه ماكان .[1]

وهذا أعشى بني مازن الشاعر المعروف يقول واصفا زيارته للنبي ﷺ:

أتيت النبي ﷺ فأنشدته :

يامالك الناس وديان العـــــرب	إني لقيت ذربة من الذرب
غدوت أبغيها الطعام في رجب	فخلفتني في نـزاع وحرب
أخلفت العهــــــد ولطت بالذنب	وهن شـــــر غالب لمن غلب

فجعل النبي ﷺ يتمثلها ويقول : وهن شر غالب لمن غلب .[2]

❤❤❤

(١) أخرجه أبو يعلى ٦/٤٣٩ .

(٢) أخرجه أبو يعلى ٦/٢٣٥ .

عنايته ﷺ بآل بيته

***

وصف الله تعالى نبيه عليه السلام بقوله : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ التوبة : ١٢٨

فكان النبي ﷺ شديد العناية بآل بيته ، حريصا عليهم ، وعلى راحتهم ، يعطف على صغيرهم ، ويحنو عليهم ، ويحترم كبيرهم ، ويغار على أهله ويخشى عليهم .

وتروي لنا السيدة أم سلمة حديثا في هذا المعنى ، فتقول :

دخل علينا رسول الله ﷺ ، وعندي صبي يشتكي ، فقال : ماله ؟

فقلنا : اتهمنا له العين .

فقال : ألا تسترقوا له من العين ؟ (١)

فأشفق النبي ﷺ على الطفل ، وأرشدهم إلى ماهو خير له ، وعلاج له .

ومن حرصه ﷺ على أزواجه وغيرته عليهم ماورد عن أم سلمة قالت:

كنت أنا وميمونة عند النبي ﷺ ، فجاء ابن أم مكتوم يستأذن ، وذلك بعد أن ضرب الحجاب . قال : قوما .

فقالتا : إنه مكفوف لا يبصرنا .

قال : أفعمياوان أنتما لا تبصرانه . (٢)

فلم يرض ﷺ لأزواجه الجلوس بحضرة الرجال ، وإن كان الرجل أعمى، حرصا عليهم .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١٧٢/١ ، وأبو يعلى ٢٥٧/٦ .

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٩/٤ ، والترمذي ١٥/٤ ، وأحمد ٢٩٦/٦ ، وأبو يعلى ٢٥٢/٦ .

ومن ذلك ماجاء عن زينب بنت أم سلمة رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ جالسا في بيت أم سلمة ، وعنده مخنث جالس ، فقال لعبد الله بن أبي أمية أخي أم سلمة : ياعبد الله ، إن فتح الله عليكم الطائف غدا فإني أدلك على ابنة غيلان امرأة من ثقيف ، تقبل بأربع ، وتدبر بثمان .

فقال رسول الله ﷺ : لا يدخل هذا عليكم .[1]

ومن احتياطه ﷺ وحرصه على سمعة أهل بيته وإزالة الشكوك عنهم ماورد عن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت :

جئت إلى النبي ﷺ فتحدثت عنده وهو عاكف في المسجد ، فقام معي ليلة من الليالي يبلغني بيتي ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأياه استحيا فرجعا .

فقال : تعاليا ، فإنها صفية زوج النبي ﷺ .

فقالا : نعوذ بالله ، سبحان الله ، وكبر عليهما .

فقال النبي ﷺ : ماأقول لكما هذا أن تكونا تظنا سوءا ، ولكني قد علمت أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .[2]

تبيين صريح من النبي ﷺ ، قاطع للأوهام والشكوك ، وفعل منه يدل على غيرته على أهل بيته ، وخوفه عليهم ، واحتياط منه ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٩/٢ ، ومسلم ٢١٨/٢ ، وأبو يعلى ٢٦٨/٦ .

(٢) أخرجه أبو يعلى ٣٢٧/٦ .

سيرته ﷺ في اختلافه مع أزواجه

***

لابد في كل عائلة من حصول بعض الاختلافات بين الزوجين ، بسبب كثرة الاحتكاك ، وهذا أمر طبيعي ، لكن مسئولية حلها تقع على عاتق الزوج ، فإذا قابل هذه الخلافات بالصبر والحلم ، وسعة الصدر فسرعان ماتنتهي وتزول ، وإذا ماقابلها بعصبية ، ورد الصاع صاعين فإن ذلك سيؤدي لتفاقم الخلاف ، وقد يصل إلى الطلاق .

وكان النبي ﷺ أحلم الناس وأعقلهم ، يعرف كيف يدبر أموره ، فيدفع السيئة بالحسنة ، ويقابل الإساءة بالحلم ، فها هو ﷺ يقول للسيدة عائشة رضي الله عنها :

إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت عليّ غضبى .

فقالت : بم تعلم يارسول الله ؟

قال : إذا كنت عليّ غضبى ، فحلفت قلت : كلا ورب إبراهيم وإذا كنت عني راضية . قلت : كلا ، ورب محمد .

قالت : صدقت يارسول الله ، ماأهجر إلا اسمك .[1]

وقد جرت بعض الأمور للنبي ﷺ جعلته يجد على أزواجه ، ويحلف ألا يقربهن شهرا كاملا ، فعن ابن عباس قال :

أصبحنا يوما ونساء النبي ﷺ يبكين ، عند كل امرأة منهن أهلها ، فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملآن من الناس ، فجاء عمر بن الخطاب ، فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له ، فسلم فلم يجبه أحد ، ثم سلم فلم

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ٢٣٢٥/٩ ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٨٠، وأحمد ٣٠/٦.

يجبه أحد ، ثم سلم فلم يجبه أحد ، فناداه ، فدخل على النبي ﷺ فقال : أطلقت نساءك ؟ فقال : لا ، ولكن آليت منهن شهرا ، فمكث تسعا وعشرين ، ثم دخل على نسائه .[1]

فاعتزل النبي ﷺ نساءه شهرا ، وقعد في مشربة له ، ولم يدخل عليهن ، ولم يقم عندهن .

قال السمهودي [2] : ولم أر في كلام المؤرخين من تعرض للمشربة التي اعتزل فيها رسول الله ﷺ لما آلى من نسائه شهرا ، ومقتضى ذلك أنه لم يكن بابها من بيت واحدة منهن ليتأتى عدم الدخول عليهن .

وفي رواية : فإذا رسول الله ﷺ في مشربة يرقى عليها بعجلة .

وفي رواية : فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعد على أسكفة المشربة ، مدل رجليه على نقير من خشب ، وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر .

والسبب في هجر النبي ﷺ لأزواجه طلبهن زيادة النفقة ، وتظاهر بعضهن عليه .

فعن عبد الله بن عباس قال :

لم أزل حريصا أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ التحريم :٤

فحج عمر ، وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر ،

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ٩/ ٣٠٠ .

(٢) وفاء الوفا ٢/ ٤٦٣ .

وعدلت معه بالإداوة ، فتبرز ثم أتاني ، فسكبت على يديه فتوضأ ، فقلت: ياأمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله لهما : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ ؟

قال عمر : واعجبا لك ياابن عباس ! عائشة وحفصة ، ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي ، فغضبت يوما على امرأتي ، فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني . فقالت :ماتنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل .

فانطلقت فدخلت على حفصة ، فقلت : أتراجعين رسول الله ﷺ؟

قالت : نعم .

قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟

قالت : نعم .

قلت : لقد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ ؟ فإذا هي قد هلكت ، لا تراجعي رسول الله ﷺ ولاتسأليه ، وسليني مابدا لك ، ولا يغررك أن كانت جارتك هي أوسم ، وأحب إلى رسول الله ﷺ منك - يريد عائشة .

فكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فأنزل يوما وينزل يوما ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك ، وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لغزونا ، فنزل صاحبي يوما ، ثم أتاني عشاء ، فضرب بابي ثم نادى ، فخرجت إليه ، فقال : حدث أمر .

قلت : ماحدث ، أجاءت غسان ؟

قال : لا ، بل هو أعظم من ذلك طلق النبي ﷺ نساءه ، فقلت : لقد خابت حفصة إذا وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائنا ، حتى إذا صليت

الصبح شددت عليّ ثيابي ، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي ، فقلت: أطلقكن رسول الله ؟

قالت : لا أدري ، هذا هو معتزل في هذه المشربة .

فلقيت غلاما له أسود ، فقلت : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ثم خرج إلي ، فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فانطلقت حتى أتيت المنبر ، فإذا عنده رهط جلوس ، يبكي بعضهم ، فجلست قليلا ، فغلبني ماأجد ، فأتيت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ثم رجع إليّ قال : قد ذكرتك له فصمت ، فجلست إلى المنبر ، ثم غلبني ماأجد ، فرجعت إلى الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلي ، فقال : قد ذكرتك فصمت ، فوليت مدبرا ، فإذا الغلام يدعوني ، فقال : ادخل ، فقد أذن لك .

فدخلت ، فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على حصير قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلقت يارسول الله نساءك ؟

فرفع إلي رأسه ، قال : لا .

قلت : الله أكبر ! لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت يوما على امرأتي فطفقت تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ماتنكر أن أراجعك ! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن يوما إلى الليل .

فقلت : لقد خاب من فعل ذلك منهن وخسر ، أتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ ، فإذا هي قد هلكت ؟

فتبسم رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله ، فدخلت على حفصة فقلت: لا يغررك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله منك ، فتبسم أخرى ، فقلت : أستأنس يارسول الله ؟

قال : نعم .

فجلست ، فرفعت رأسي في البيت ، فوالله مارأيت شيئا يرد البصر إلا أهبا ثلاثة ، فقلت : يارسول الله ، ادع الله يوسع على أمتك ، فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا وقال :

أو في شك أنت يابن الخطاب ؟ أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا .

فقلت : استغفر لي يارسول الله .

قال : وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن ، حتى عاتبه الله .[١]

وفي رواية البخاري :

فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة .

فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة : يارسول الله ، إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا ، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا.

فقال : الشهر تسع وعشرون ليلة ، فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة .

قالت عائشة : ثم أنزل الله تعالى آية التخيير ، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ، ثم خير نساءه كلهن ، فقلن مثل ماقالت عائشة .

فائدة :

عاتب الله نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ٢٧٨/٩ ، ومسلم في الطلاق ، والنسائي في العشرة ص ٢٣٤ .

لك ﴾ التحريم : ١ لأنه حرم بعض نسائه .

فائدة :

قال تعالى لأزواج النبي ﷺ : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ التحريم : ٣

قال الآلوسي [١] : وأعظم الله جل جلاله شأن النصرة لنبيه ﷺ على هاتين الضعيفتين إما للإشارة إلى عظم مكر النساء ، أو للمبالغة في قطع حبال طمعهما لعظم مكانتهما عند رسول الله ﷺ وعند المؤمنين لأمومتهما لهم ، وكرامة له ﷺ ورعاية لأبويهما في أن تظاهرهما يجديهما نفعا .

وقيل : المراد : المبالغة في توهين أمر تظاهرهما ، ودفع ماعسى أن يتوهمه المنافقون من ضرره في أمر النبوة والتبليغ ، وقهر أعداء الدين ، لما أن العادة قاضية باشتغال بال الرجل بسبب تظاهر أزواجه عليه .

وقال البقاعي[٢] : فخوف بذلك كله لأجل المتاب ، لطفا به ﷺ ، وإظهارا لعظمته .

وقد جرت للنبي ﷺ مع أزواجه بعض المراجعات ، فمن ذلك ماجاء عن النعمان بن بشير أنه قال :

استأذن أبو بكر على النبي ﷺ ، فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول :

والله ، لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي . فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها ، وقال : يابنة فلانة ، أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ .

فأمسكه رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر مغضبا .

---

(١) روح المعاني ١٥٤/٢٨ .

(٢) نظم الدرر ١٩٢/٢٠ .

فقال رسول الله ﷺ : ياعائشة ، كيف رأيت ؟ أنقذتك من الرجل .

ثم استأذن أبو بكر بعد ذلك وقد اصطلح رسول الله ﷺ وعائشة ، فقال : أدخلاني في السلم ، كما أدخلتماني في الحرب .

فقال رسول الله ﷺ : قد فعلنا .[1]

وكان رسول الله ﷺ لا يغضب في بيته ولا في غيره إلا إذا انتهكت حرمات الله ، فقد هجر زوجته مرة بسبب غيبة اغتابت بها ، فعن أنس بن مالك قال : كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر ، وكان ذلك يومها ، فأبطأت في المسير ، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول : حملتني على بعير بطيء .

فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها ، فأبت إلا بكاء ، فغضب رسول الله ﷺ وتركها ، فندمت فأتت على عائشة ، فقالت :

يومي هذا لك من رسول الله إن أنت أرضيته عني .

فعمدت عائشة إلى خمارها ، وكانت صبغته بورس وزعفران ، فنضحته بشيء من ماء ، ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله ﷺ .

فقال لها رسول الله ﷺ : مالك ؟

فقالت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . فعرف رسول الله ﷺ الحديث ، فرضي عن صفية ، وانطلق إلى زينب ، فقال لها :

إن صفية قد أعيا بها بعيرها ، فما عليك أن تعطيها بعيرك .

قالت زينب : أتعمد إلى بعيري فتعطيه اليهودية ؟

فهجرها رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر فلم يقرب بيتها ، وعطلت زينب نفسها ، وعطلت بيتها ، وعمدت إلى السرير ، فأسندته إلى مؤخر البيت ،

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٩٩ ، والنسائي في العشرة ص ٢٣١.

وأيست أن يأتيها رسول الله ﷺ ، فبينا هي ذات يوم إذا بوجس رسول الله ﷺ ، فدخل البيت فوضع السرير موضعه ، فقالت زينب : يارسول الله ، جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم ، هي لك .

فدخل عليها رسول الله ﷺ ورضي عنها .[1]

فهذا كان أكبر هجر هجره النبي ﷺ لأزواجه .

♥♥♥

(١) أخرجه النسائي في العشرة ص ٢٤١ .

وصف النبي ﷺ من أزواجه

***

وفي الختام نسمع وصف النبي ﷺ من أحب أزواجه إليه ، وهي السيدة عائشة إذ تقول :

والله ماضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له قط ، ولا خادما له قط ، ولا ضرب بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالم يكن مأثما ، وإن كان إثما كان أبعد الناس ، ووالله ماانتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه ، حتى ينتهك من حرمات الله، فينتقم لله .[1]

فهذه هي أخلاق النبي ﷺ ، وأحسن ماوصف به قوله تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

ومن عظيم خلقه ﷺ أنه كان يمازح نساءه ، ويتلطف معهن ، وتروي لنا السيدة عائشة خبرا لطيفا فتقول :

زارتنا سودة يوما ، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها ، إحدى رجليه في حجري ، والأخرى في حجرها ، فعملت لها خزيرة ، فقلت : كلي ، فأبت .

فقلت : لتأكلي أو لألطخن وجهك ! فأبت ،

فأخذت من القصعة شيئا ، فلطخت به وجهها ، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ،

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل رقم ٧٧ ، والترمذي في الشمائل برقم ٣٣٢ ، والنسائي في العشرة ص ٢٤٢ .

ورسول الله ﷺ يضحك ، فإذا عمر يقول : ياعبد الله بن عمر ، ياعبد الله ابن عمر .

فقال لنا رسول الله ﷺ : قوما ، فاغسلا وجوهكما ، فلا أحسب عمر إلا داخلا . [1]

ومن لطيف معاملته ﷺ ماورد عن رزينة مولاة رسول الله ﷺ :

أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها ، وعندها حفصة بنت عمر ، فجاءت سودة في هيئة وفي حال حسنة ، عليها درع من برود اليمن ، وخمار كذلك ، وعليها نقطتان مثل الفرستين ، من صبر وزعفران في موقيها .

فقالت حفصة لعائشة : ياأم المؤمنين ، يجيء لنا رسول الله قشفا ، وهذه بيننا تبرق ؟

فقالت لها أم المؤمنين : اتقي الله ياحفصة .

قالت : لأفسدن عليها زينتها .

قالت : ماتقلن ؟ وكان في أذنها ثقل .

قالت لها حفصة : ياسودة خرج الأعور . قالت : نعم ؟

ففزعت فزعا شديدا ، فجعلت تنتفض . قالت : أين أختبىء ؟

قالت : عليك بالخيمة - خيمة لهم من سعف يطبخون فيها - فذهبت واختبأت فيها ، وفيها القذر ونسيج العنكبوت .

فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان ، لا تستطيعان أن تتكلما من الضحك .

فقال : ماذا الضحك ؟ ثلاث مرات .

---

(١) أخرجه النسائي في العشرة ص ٥٩ .

فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة ، فذهب فإذا سودة ترعد .

فقال لها : ياسودة مالك ؟

قالت : يارسول الله ، خرج الأعور .

قال : ماخرج وليخرجن ، ماخرج وليخرجن ، ثم دخل فأخرجها ، فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت . (1)

ولم يعنف ﷺ زوجتيه ولم ينهرهما .

♥♥♥

(1) أخرجه أبو يعلى ٦/٣٤٢ .

حث النبي ﷺ أزواجه على لزوم الحجرات بعده

***

حث النبي ﷺ زوجاته بعده على لزوم حجراتهن ، فإن أفضل حال المرأة أن تكون جالسة في بيتها ، لا ترى الرجال ، ولا الرجال يرونها ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للنساء - وفي رواية لنسائه - عام حجة الوداع :

هذه ، ثم ظهور الحصر .

قال : فكن كلهن يحججن إلا سودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ، فإنهما كانتا تقولان :

والله ، لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله .[1]

قوله ﷺ : هذه . أي : تكفي هذه .

وقوله : ثم ظهور الحصر . أي : الزمن ظهور الحصر . أي : اقعدن في بيوتكن .

فكانت السيدتان سودة وزينب يحافظن على وصية رسول الله ﷺ بعده ، ولم يخرجن من بيوتهن . وامتثلن كذلك قول الله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ الأحزاب :٣٣ .

لكن الأمر ليس على سبيل الوجوب ، فقد ثبت في حديث أم عطية أن النساء كن يخرجن فيداوين الجرحى .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت :

قلت : يارسول الله ، ألا نغزو ونجاهد معكم ؟

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢٤/٢ ، وأبو يعلى ٣٤٠/٦ .

فقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج ، حج مبرور .

قالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ[1]

ففهمت السيدة عائشة ومن وافقها من هذا الترغيب في الحج إباحة تكريره لهن ، كما أبيح للرجال تكرير الجهاد .

وخص بحديث عائشة هذا عموم قوله ﷺ : هذه ، ثم ظهور الحصر . وقوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ فالخاص يخصص العام .

وكان عمر رضي الله عنه متوقفا في هذا ، ثم ظهر له قوة دليل عائشة رضي الله عنها ، فأذن لهن في آخر خلافته في الحج ، فقد أخرج البخاري [2] قال :

أذن عمر رضي الله عنه لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف .

وفي ذلك تقول عائشة : منعنا عمر الحج والعمرة ، حتى إذا كان آخر عام فأذن لنا .

فبعض الأزواج قامت بالحج . والبعض لزمت الحجرات عملا بوصية رسول الله ﷺ ، وفي كل خير .

---

(١) أخرجه البخاري في الحج ٧٢/٤ .

(٢) كتاب الحج ٧٢/٤ .

وفاة الرسول ﷺ في إحدى الحجرات

***

أدى رسول الله ﷺ رسالته كاملة إلى الناس ، كما أمره ربه بذلك ، وقضى حياته كلها في الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله ، ثم حج حجة الوداع ، ودع الناس فيها ، ثم ابتدأ المرض برسول الله ﷺ في شهر صفر ، وكان في بيت ميمونة رضي الله عنها ثم اشتد به الوجع فقال ﷺ لنسائه : إني لا أستطيع أن أدور بيوتكن ، فإذا شئتن أذنتن لي .

فاستأذنهن ﷺ وهو على هذه الحالة ، ولم يترك العدل بين نسائه ، فتروي لنا السيدة عائشة خبره فتقول :

لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه ، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين ، تخط رجلاه في الأرض ، بين العباس بن عبد المطلب ورجل آخر ، هو علي بن أبي طالب .

وكانت السيدة عائشة تحدث أيضا : أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال : هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ، لعلي أعهد إلى الناس . فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن .

قالت : ثم خرج إلى الناس ، فصلى بهم وخطبهم .[١]

ويقول ابن عباس :

لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، وهو كذلك يقول : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ماصنعوا .[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٨/ ١٤١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي ٨/ ١٤٠ .

والسيدة عائشة جالسة عنده تقرأ له القرآن ، وهي تقول :

إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ، ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث ، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه .[1]

والناس يدخلون ويخرجون على النبي ﷺ ، وفي ذلك يقول ابن عباس:

لما حضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال ، فقال النبي ﷺ :

هلموا أكتب لكم كتابا ، لا تضلوا بعده .

فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : قوموا . فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولغطهم .[2]

ثم دعا النبي ﷺ ابنته فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فبكت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت ، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك فقالت :

سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه ، فضحكت .[3]

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي ١٣١/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي ١٣٢/٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي ١٣٥/٨ .

ثم إن رسول الله ﷺ خير ، فاختار الرفيق الأعلى ، وفي ذلك تقول السيدة عائشة :

كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يحيا أو يخير . فلما اشتكى وحضره القبض ، ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ، ثم قال :

اللهم في الرفيق الأعلى .

فقلت : إذا لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح . [١]

في هذه الأثناء دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، فتقول السيدة عائشة :

دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به ، فأبده رسول الله ﷺ بصره ، فأخذت السواك فقضمته ، ونفضته ، وطيبته ، ثم دفعته إلى النبي ﷺ ، فاستن به ، فمارأيت رسول الله ﷺ استن استنانا قط أحسن منه ، فماعدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو أصبعه ، ثم قال : في الرفيق الأعلى . ثلاثا ، ثم قضى ، وكانت تقول :

مات بين حاقنتي وذاقنتي . [٢]

الحاقنة : ماسفل من الذقن ، والذاقنة : ماعلا منه .

وفي رواية البخاري : فقبضه الله ، وإن رأسه لبين نحري وسحري ، وخالط ريقه ريقي ، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا ،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٨/١٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري ٨/١٣٨ .

وأول يوم من الآخرة .

ثم أقبل أبو بكر الصديق على فرس من مسكنه بالسنح ، حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها .[١]

ثم إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : اجلس ياعمر .
فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ،
فقال أبو بكر : أما بعد ، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لايموت . قال الله :
﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾
قال ابن عباس : والله ، لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها .
قال عمر : والله ، ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت حتى ماتقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات .[٢]

---

(١) البخاري ١٤٥/٨ .
(٢) فتح الباري ١٤٥/٨ .

ولما مات رسول الله ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها :
ياأبتاه ، أجاب ربا دعاه ، ياأبتاه جنة الفردوس مأواه ، ياأبتاه إلى جبريل ننعاه . فلما دفن قالت فاطمة : ياأنس ، أطابت نفوسكم أن تحثو على رسول الله ﷺ التراب .[1]

وكانت وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

ودفن النبي ﷺ في بيت عائشة ، وحظيت هذه الحجرة بجسد النبي ﷺ ، فياله من شرف عظيم ، وفخر عميم ، وكانت هذه الحجرة من أشرف البقع لضمها النبي ﷺ .

وقسم بيت عائشة قسمين : قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة .

ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ كان أبو عبيدة يضرح حفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة ، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة ، وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة . اللهم خر لرسولك . فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله ﷺ ، ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء ، وكان الذين نزلوا قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، وبني على لحده تسع لبنات نصبن نصبا .

عليه أزكى السلام ، وأفضل الصلوات .

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٩/٨

روضته الشريفة ﷺ

***

يقول النبي ﷺ :

مابين بيتي إلى منبري روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة . (١)

وفي رواية أخرى :

مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . (٢)

ومعنى هذا الحديث أن الصلاة في ذلك الموضع ، والذكر فيه يؤدي إلى روضة من رياض الجنة .

وقيل : مابين منبره وبيته حذاء روضة من رياض الجنة .

وقيل : إنه روضة حقيقية ، بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة .

وقيل : إنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة ، وحصول السعادة ، بما يحصل من ملازمة حلق الذكر ، فيكون تشبيها بغير أداة .

♥♥♥

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة ٤/٩٩ ، ومسلم في الحج برقم ١٣٩١ .

الحجرات الشريفة بعد انتقال الرسول ﷺ

***

خلت الديار من أهلها ، وحزن كل شيء على فراق النبي ﷺ ، وصار الناس يأتون إلى موضع دفن النبي ﷺ فيأخذون من تراب القبر ، وأمرت عائشة بجدار فضرب ، وكانت في الجدار كوة ، فكانوا يأخذون منها ، فأمرت بالكوة فسدت .[1]

ثم ولي أبو بكر الخلافة ، وانقضت أيامه سريعة فإذا هو مريض ، فتدخل عليه ابنته عائشة فتقول لنا خبرها معه :

دخلت على أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : في كم كفنتم النبي ﷺ ؟

قالت : في ثلاثة أثواب سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وقال لها : في أي يوم توفي رسول الله ﷺ ؟

قالت : يوم الاثنين .

قال : فأي يوم هذا ؟

قالت : يوم الاثنين .

قال : أرجو فيما بيني وبين الليل ، فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه ، به ردع من زعفران ، فقال : اغسلوا ثوبي هذا ، وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها .

قلت : إن هذا خلق .

قال : إن الحي أحق بالجديد من الميت ، إنما هو للمهلة ، فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ، ودفن قبل أن يصبح .[2]

---

(١) وفا الوفا ٢/٢٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/٢٥٢ .

وغسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه ، وابنه عبد الرحمن يصب عليه الماء ، وكفن وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ، وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله ﷺ وجاه المنبر ، ودفن ليلة الثلاثاء إلى جانب رسول الله ﷺ وألصقوا لحده بلحده ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن ابنه .[1]

وفاز رضي الله عنه بصحبة النبي ﷺ في الدنيا ، وفي المقام الأخير، وحظيت الحجرة الشريفة بروحه الطاهرة ، فياله من مكسب عظيم .

ثم ولي الخلافة عمر بن الخطاب ، ودارت الأيام دورتها بسرعة ، فإذا بعمر رضي الله عنه جريح مريض في أيامه الأخيرة ، فينادي ابنه عبد الله فيقول :

ياعبد الله بن عمر ، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فقل : يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي .

قالت : كنت أريده لنفسي ، فلأوثرنه اليوم على نفسي .

فلما أقبل قال له : مالديك ؟

قال : أذنت لك باأمير المؤمنين .

قال : ماشيء أهم إلي من ذلك المضجع ، فإذا قبضت فاحملوني ، ثم سلموا ، ثم قل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لي فادفنوني ، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين .[2]

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

وضع عمر على سريره ، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع

---

(١) تاريخ المدينة لابن النجار ص ٣٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/٢٥٦ .

- وأنا فيهم - فلم يرعني إلا رجل آخذ بمنكبي ، فإذا علي بن أبي طالب ، فترحم على عمر ، وقال :

ماخلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أني كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر .[١]

ثم دفن رضي الله عنه بجوار صاحبيه .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : مازلت أضع خماري ، وأتفضل في ثيابي ، حتى دفن عمر فلم أزل متحفظة في ثيابي . حتى بنيت بيني وبين القبور جدارا .[٢]

وروي أنها لما دفن عمر لبست ثيابها الدرع والخمار والإزار ، وقالت: إنما كان أبي وزوجي فلما دخل معهما غيري لزمت ثيابي .[٣]

♥♥♥

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٧/٤١ .

(٢) وفاء الوفا ٢/٨٤٤ .

(٣) تاريخ المدينة لابن النجار ص ٣٩١ .

صفة القبور الثلاثة

***

جاء وصف القبور الثلاثة عن بعض التابعين حيث رآها بعينه ، فقد أخرج أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال :

دخلت على عائشة فقلت : ياأمه ، اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه ، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء .

وزاد الحاكم :

فرأيت رسول الله ﷺ مقدما ، وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ ، وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ .

وكان هذا في خلافة معاوية .

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك كان عمر بن عبد العزيز أميرا على المدينة فحدث حادث للحجرة ، يرويه عروة بن الزبير فيقول : لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه ، فبدت لهم قدم ، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ ، فما وجدوا أحدا يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ، ماهي قدم النبي ﷺ ، ماهي إلا قدم عمر رضي الله عنه . (١)

ويروي لنا عبد الله بن محمد بن عقيل تفصيل الخبر فيقول :

كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد ، فأبدأ بالنبي ﷺ فأسلم عليه ، ثم آتي مصلاي فأجلس به حتى أصلي الصبح ، فخرجت في ليلة مطيرة حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة لا والله

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/٢٥٥ .

ماوجدت مثلها قط ، فجئت المسجد فبدأت بقبر النبي ﷺ فإذا جداره قد انهدم ، فدخلت فسلمت على النبي ﷺ ومكثت فيه مليا ، فلم ألبث أن سمعت الحس ، فإذا عمر بن عبد العزيز قد أخبر ، فجاء فأمر به فستر بالقباطي ، فلما أصبح دعا وردان البناء ، فقال له : ادخل . فدخل فكشف، فقال : لابد لي من رجل يناولني . فكشف عمر بن عبد العزيز ساقيه يريد يدخل ، فكشف القاسم بن محمد ، فكشف سالم بن عبد الله ،

فقال عمر : مالكم ؟

فقالوا : ندخل والله معك .

قال : فلبث عمر هنيهة ثم قال : والله لا نؤذيهم بكثرتنا اليوم ، ادخل يامزاحم فناوله .

فقال عمر : يامزاحم ؟ كيف ترى قبر النبي ﷺ ؟

قال : متطأطئا .

قال : فكيف ترى قبر الرجلين ؟

قال : مرتفعين .

قال : أشهد أنه رسول الله ﷺ .

وكان الناس يصلون إلى القبر ، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد . (٢)

ثم كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز - وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ - : أن اهدمها ووسع بها المسجد ، فقعد عمر في ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فيقول رجاء بن حيوة : فما رأيت باكيا أكثر من يومه .

---

(١) وفاء الوفا ٥٤٦/٢ .

(٢) فتح الباري ٢٥٧/٣ .

ثم بنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي ﷺ حاجزا من سقف المسجد إلى الأرض ، وصارت الحجرة في وسطه ، وهو على دورانها .

ولما ولي المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ أمر إسحاق بن سلمة ، وكان على عمارة مكة والمدينة من قبله بأن يأزر الحجرة بالرخام من حولها ، ففعل ذلك ، وبقي الرخام عليها إلى سنة ٥٤٨ هـ من خلافة المقتفي ، فجدد تأزيرها جمال الدين وزير بني زنكي ، وجعل الرخام حولها قامة وبسطة ، وجعل لها شباكا من خشب الصندل والأبنوس ، وأداره حولها مما يلي السقف . (١)

♥♥♥

(١) تاريخ ابن النجار ص ٣٩٣ .

محاولة سرقة جسد النبي ﷺ

***

مازال أعداء الدين منذ ظهر نور الإسلام على البشرية يحاولون إطفاءه بكل وسائلهم ، وإيذاء أهله ، النيل منهم ، ومن نبي الهدى ﷺ ، فحاولوا قتله في حياته ، وأنى لهم ذلك والله تعالى يقول له : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ المائدة :٦٧، كما حاولوا الاعتداء على روضته الشريفة ، وسرقة جسده الطاهر ، ولم يعلموا أن الله حافظ لنبيه عليه السلام في حياته وبعد مماته .

ويقص علينا العلامة جمال الدين الأسنوي قصة عجيبة فيقول :

وقد دعتهم أنفسهم - أي : النصارى- في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد ، إلى أمر عظيم ، ظنوا أنه يتم لهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجد يأتي به بالليل ، وأوراد يأتي بها ، فنام عقب تهجده فرأى النبي ﷺ في نومه وهو يشير له إلى رجلين أشقرين ويقول :

أنجدني ، أنقذني من هذين .

فاستيقظ فزعا ، ثم توضأ وصلى ونام ، فرأى المنام بعينه ، فاستيقظ وصلى ونام ، فرآه أيضا مرة ثالثة ، فاستيقظ وقال : لم يبق نوم . وكان له وزير من الصالحين يقال له : جمال الدين الموصلي ، فأرسل خلفه ليلا ، وحكى له جميع مااتفق له ،

فقال له : وماقعودك ؟ اخرج الآن إلى المدينة المنورة واكتم مارأيت .

فتجهز بقية ليلته ، وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفرا ، وبصحبته الوزير المذكور ومال كثير ، فقدم المدينة في ستة عشر يوما ، فاغتسل خارجها ، ودخل فصلى بالروضة وزار ، ثم جلس لايدري ماذا

يصنع .

فقال الوزير - وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد - : إن السلطان قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالا للصدقة ، فاكتبوا من عندكم .

فكتبوا أهل المدينة كلهم ، وأمر السلطان بحضورهم ، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ له ، فلا يجد تلك الصفة ، فيعطيه ويأمره بالانصراف ، إلى أن انقضت الناس .

فقال السلطان : هل بقي أحد لم يأخذ شيئا من الصدقة ؟

قالوا : لا .

قال : تفكروا وتأملوا .

قالوا : لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين ، لا يتناولان من أحد شيئا ، وهما صالحان غنيان ، يكثران الصدقة على المحاويج .

فانشرح صدره وقال : علي بهما . فأتي بهما ، فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله : أنجدني ، أنقذني من هذَين .

فقال لهما : من أين أنتما ؟

فقالا : من بلاد المغرب ، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ .

فقال : اصدقاني . فصمما على ذلك ، فقال : أين منزلهما ؟

فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة ، فأمسكهما وحضر إلي منزلهما ، فرأى فيه مالا كثيرا ، وختمتين ، وكتبا في الرقائق ، ولم ير فيه شيئا غير ذلك ، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير ، وقالوا : إنهما صائمان الدهر ، ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي ﷺ ، وزيارة البقيع كل يوم بكرة ، وزيارة قباء كل سبت ، ولا يردان سائلا قط ، بحيث سدا خلة أهل المدينة في هذا العام المجدب .

فقال السلطان : سبحان الله ! ولم يظهر شيئا مما رآه ، وبقي السلطان

يطوف في البيت بنفسه ، فرفع حصيرا في البيت ، فرأى سردابا محفورا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة ، فارتاعت الناس لذلك ، وقال السلطان عند ذلك : اصدقاني حالكما . وضربهما ضربا شديدا ، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة ، وأمالوهما بأموال عظيمة ، وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم ، وتوهموا أن يمكنهم الله منه ، وهو الوصول إلى الجناب الشريف ، ويفعلوا به مازينه لهم إبليس في النقل ، ومايترتب عليه ، فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة ، وفعلا ماتقدم ، وصارا يحفران ليلا ، ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة ، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته، ويخرجان لإظهار زيارة البقيع ، فيليقيانه بين القبور ، وأقاما على ذلك مدة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت ، وحصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال ، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة ، واتفق إمساكهما واعترافهما ، فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ، ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره ، بكى بكاء شديدا ، وأمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ، وهو مما يلي البقيع .

ثم أمر بإحضار رصاص عظيم ، وحفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها ، وأذيب ذلك الرصاص ، وملأ به الخندق ، فصار حول الحجرة سورا رصاصا إلى الماء ، ثم عاد إلى ملكه ، وأمر بإضعاف النصارى ، وأمر ألا يستعمل كافر في عمل من الأعمال ، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها .ا.هـ

وصان الله نبيه ، وحفظه من مكرهم .

ماجرى في الحجرات الشريفة

***

وفي سنة ٦٥٤ هـ من رمضان حصل حريق في المسجد النبوي الشريف ، أدى إلى وقوع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي ﷺ ، فوقعا جميعا في الحجرة الشريفة ، فكتب بذلك للخليفة المستعصم بالله ، فأرسل الآلات مع الصناع مع ركب العراق في الموسم ، وابتدىء بالعمارة سنة ٦٥٥ هـ ، وتركوا ماوقع من السقوف على القبور الشريفة ، ولم يجسروا على إزالتها ، وسقفوا الحجرة الشريفة وماحولها إلى الحائط القبلي ، وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل .

وفي سنة ٦٧٨ هـ في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي عملت قبة على مايحاذي سقف الحجرة الشريفة ، وهي مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها .

وجددت هذه القبة في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وأحكمت في أيام الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٥ هـ .

وفي سنة ٦٦٧هـ أحدث الملك الظاهر بيبرس المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة بين الأساطين حول جدار الحجرة الظاهر ، وحول بيت فاطمة، وعمل له ثلاثة أبواب ، وعمل درابزينا حول الحجرة ، ثم زيد باب رابع سنة ٧٢٩ هـ .

وفي سنة ٦٩٤ هـ زاد العادل زين الدين كتبغا على درابزين الحجرة حتى أوصله إلى سقف المسجد .

وفي سنة ٨٥٣ هـ في دولة الظاهر جقمق بسط الرخام الملون بالأرض داخل هذه المقصورة .

وفي سنة ٨٧٨ هـ أقر السلطان الأشرف احتياج المسجد للعمارة ، فهدموا المقصورة حول الحجرة ، فظهر فيها الهدم الذي حصل من الحريق ، فنظفوه ، وابتدؤوا بإعادة بناء الحجرة .

وفي سنة ٨٨٦ هـ حدث حريق آخر في المسجد النبوي ، فاشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ، فذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الأعلى ، واحترقت أخشابها ، واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة ، وسلمت الحجرة الشريفة .

ثم شرع في تجديد البناء ، وجعلوا على مايحاذي الحجرة وماحوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد ، وعقودا من الآجر بدلا من القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق ، وأحدثوا أسطوانا في جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذي عليه القبة من تلك الناحية ، وأعادوا ترخيم الحجرة وماحولها، ووضعوا شبابيك من النحاس .

وفي سنة ١٢٣٣هـ في زمن السلطان العثماني محمود بن عبد الحميد جدد بناء القبة ، حيث حصل فيها شقوق في أعلاها ، فهدموها من أعلى ، وأعادوا بناءها ، وهي الآن على مابنيت عليه في العهد العثماني .

وفي سنة ١٢٥٣ هـ في عهد السلطان عبد الحميد العثماني صبغت القبة باللون الأخضر وصارت تعرف بالقبة الخضراء .

وعلى الحجرة الشريفة من الداخل نقشت قصيدة للشيخ عبد الله بن

علوي الحداد الحضرمي المتوفى سنة ١١٣٢ هـ ، وفيها يقول :

سلكنا الفيافي والقفار على النجب ... تجد بنا الأشواق لا حادي الركب
فنهوي عليها بالعشية والذي ... يليها من الليل البهيم على القتب
يلذ لنا ألا يلذ لنا الكرى ... لما خالط الأرواح من خالص الحب
ويبرد حر بالهجير يمده ... سموم إذا هاجت تزعزع للكثب
ومازال هذا دأبنا وصنيعنا ... إلى أن أنخنا العيس بالمنزل الرحب
نزلنا بخير العالمين محمد ... نبي الهدى بحر الندى سيد العرب
رسول أمين هاشمي معظم ... وسيد من يأتي ومن مر في الحقب
رحيم براه الله للخلق رحمة ... وأرسله لكشف الضر والبؤس والكرب
وأرسله بالحق والصدق والهدى ... وبذل الندى والرفق والمنطق العذب
به الله أنجانا من الشرك والردى ... ومن عمل الشيطان والجبت والنصب
وأدخلنا في خير دين يحبه ... ويرضاه دين الحق ، فالحمد للرب
له المنة العظمى علينا ببعثه ... إلينا ومنا علي الذكر والكعب
نبي عظيم خلقه الخلق الذي ... له عظم الرحمن في سيد الكتب
وأيده بالوحي والنصر والصبا ... وأملاكه والمؤمنين وبالرعب
وبالمعجزات الظاهرات التي نمت ... على القطر عدا بعده كل من نبي
وآتاه قرآنا به أعجز الورى ... جميعا على التأبيد ، يالك من قلب

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله جرى بعض الترميمات والإصلاحات في الأسطوانات التي في داخل الحجرة الشريفة .

والحجرات حاليا ضمن حاجز نحاسي ملون باللون الأخضر ، مكتوب

في أعلاه قوله تعالى : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾

وفيها ثلاث طاقات ، الأولى موازية لقبر الرسول ﷺ ، والثانية لقبر أبي بكر الصديق ، والثالثة لقبر عمر بن الخطاب .

وجرى في العهد الحالي تجديد كسوة أسطوانات الروضة بالرخام المزخرف الجميل .

وعلى الأسطوانة التي على يمين المسلم على النبي ﷺ مكتوب :

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم

وهذا آخر ماكتبناه ، والحمد لله رب العالمين .

♥♥♥♥♥

♥♥♥

♥

فهرس الكتاب

ردمك : ٤-١٥٧-٣٩-٩٩٦٠

مطبعة الرشيد جدة ت: ٦٣٢١٠٤٩